ذخائر التراث العربي

رسالة الهناء

للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعرّي

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

ذخائر التراث العربي

رسالة الصاهل والشاحج

للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري

شرح وتحقيق

كامل كيلاني

مراجعة

لجنة احياء التراث العربي

في دار الآفاق الجديدة

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثالثة

١٩٧٩

الطبعة الرابعة

١٤٠٢هـ /١٩٨٢م

الفصل الاول

شَرْحُ الرِّسَـــالَةِ

١ ـــ وزير شبل الدولة

هٰذِهِ هِيَ رِسَالَةُ ٱلْهَنَاءِ ، وَهِيَ ـــ كَمَا تَبْدُو لِقَارِئِهَا ـــ رِسَالَةٌ بَعَثَ بِهَا « أَبُو ٱلْعَلَاءِ » ، إِلَى بَعْضِ مُعَاصِرِيهِ مِنَ ٱلْكُبَرَاءِ يُهَنِّئُهُ فِيهَا بِقُدُومِ وَزِيرِ ٱلسُّلْطَانِ « شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ[1] » إِلَيْهِ ، وَنُزُولِهِ عَلَيْهِ .

---

(١) تملك « أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس » مدينة « حلب » من سنة ٤٢٠ إلى ٤٢٩ ﻫ . وقد أشار إليـه المعري في رسالة الغفران التي كتبها سنـــة ٤٢٤ ﻫ . حين تمثل صاحبـه « ابن القارح » يستنجد بعلي بن أبي طالب ـ يوم القيامـة ـ متوسلاً إليـــه أن يخاطب النبي ﷺ في شأنه ليتشفـع له ، وتمثل « علياً » يسأله عن صحيفة حسناته ، فيبحث « ابن القارح » عنهـــا فلا يظفر بطائل ، وكان سبب فقدانها : أنه رأى ـ في المحشر ـ شيخـــاً كان يدرس له النحو ، في الدار العاجلة ، يعرف « بأبي علي الفارسي » ، ورأى جماعـــة من الشعراء ، يأخذون بتلابيب الشيخ ويخطئونه فيما رواه من أشعارهم ، ويتمرسون به صاخبين ، ويقولون له غاضبين : « تأولت علينا وظلمتنا » فلم يكد الأستاذ يرى تلميذه « ابن القارح » حتى أشار إليه بيده مستنجداً ، فخف التلميذ إلى =

وَمَا نَعْلَمُ — عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ — مِنْ شَأْنِ هٰذَيْنِ ٱلْكَبِيرَيْنِ ، أَوِ ٱلْوَزِيرَيْنِ ، أَوِ ٱلْمُشِيرَيْنِ ، أَكْثَرَ مِمَّا أَفْضَى بِهِ إِلَيْنَا « أَبُو ٱلْعَلَاءِ » فِي ثَبْتِ هٰذِهِ ٱلرِّسَالَةِ ، فَأَدْرَكْنَا مِنْ سِيَاقِهِ ، أَنَّ كِلَيْهِمَا كَانَ مُشِيراً لِلسُّلْطَانِ : « شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ » ٱلَّذِي أُلِّفَتْ فِي عَهْدِهِ « رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ » كَمَا يَنُمُّ بِذٰلِكَ قَوْلُ شَاعِرِنَا :

« وَسَيِّدَانَا ٱلْأُسْتَاذَانِ — أَذَلَّ ٱللهُ مُعَانِدَهُمَا أُخْرَى ٱلْمَنُونِ ، إِذَا كَانَ ٱلسُّلْطَانُ « شِبْلُ ٱلدَّوْلَةِ » أَسَدَ ٱلنُّجُومِ ، كَانَا — لَا مَحَالَةَ — ذِرَاعَيْهِ ، وَإِنْ أَغْلَقَ بَابَ ٱلرَّأْفَةِ فَتَحَا مِصْرَاعَيْهِ » .

فَلَمَّا أَفْضَى إِلَيْنَا بِٱلْبَاعِثِ لَهُ عَلَى كِتَابَةِ هٰـذِهِ ٱلرِّسَالَةِ إِلَى

= نجدة أستاذه ، وهب للدفاع عنه ، قائلاً : « يا قوم : إن هـذه أمور هينة ، فلا تعنتوا هـذا الشيخ » الى أن قال : « وإنه ما سفك لكم دماً ، ولا احتجن عنكم مالاً » .

قال : « فتفرقوا عنه ، وشغلت بخطابهم والنظر في حويرهم (مناقشتهم) فسقط مني الكتاب الذي فيه ذكر التوبة ، فرجعت أطلبه فما وجدته ، فأظهرت الوله والجزع . فقال أمير المؤمنين : « لا عليك ! ألك شاهد بالتوبة ؟ » فقلت : « نعم . قاضي حلب وعدولها » فقال : « بمن يعرف ذلك الرجل ؟ » فأقول : « بعبد المنعم بن عبد الكريم » قاضي « حلب » — حرسها الله — في أيام « شبل الدولة » .

« سَيِّدَيْهِ ٱلْأُسْتَاذَيْنِ » لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَ :

« وَقَدْ كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ (ٱلصَّمْتِ) حَتَّى أَشَارَ بِٱلْقَوْلِ وَلِيُّهُمَا « أَبُو فُلَانٍ » ، وَهُوَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِعَقْلِهِ وَدِينِهِ ... الخ » .

٢ ــ عصر الشياطين

وَمَنْ يَدْرِي ، فَلَعَلَّ شَاعِرَنَا ـ قَدْ حَذَفَ ٱلْأَسْمَاءَ وَٱلْأَلْقَابَ مِنْ هٰذِهِ ٱلرِّسَالَةِ ، بَعْدَ أَنْ تَغَيَّرَ ٱلْعَهْدُ ٱلسِّيَاسِيُّ ، فَمَا كَانَ أَقْصَرَ عُهُودَ ٱلسَّلَاطِينِ وَٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْوُلَاةِ وَٱلْأُمَرَاءِ فِي ذٰلِكَ ٱلْعَصْرِ ٱلْمُضْطَرِبِ ٱلْمَلْئُوءِ بِٱلْمَخَاطِرِ وَٱلْأَحْدَاثِ وَٱلْفِتَنِ وَٱلدَّسَائِسِ ، ٱلَّتِي أَثَارَهَا شَيَاطِينُ ٱلْعَصْرِ مِنَ ٱلسُّوَّاسِ ٱلَّذِينَ عَنَاهُمْ شَاعِرُنَا بِقَوْلِهِ :

سَاسَ ٱلْأَنَامَ شَيَاطِينٌ مُسَلَّطَةٌ
فِي كُلِّ مِصْرٍ ـ مِنَ ٱلْوَالِينَ ـ سُلْطَانُ
مَنْ لَيْسَ يَحْفِلُ خَمْصَ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمُ
إِنْ رَاحَ يَشْرَبُ خَمْراً ، وَهْوَ مِبْطَانُ

وَدَمْغَ وُلَاتَهُ وَهُدَاتَهُ بِقَوْلِهِ :

فَأَمِيرُهُمْ نَالَ ٱلْإِمَارَةَ بِٱلْخَنَا وَتَقِيُّهُمْ - بِصَلَاتِهِ - يَتَصَيَّدُ

وَقَوْلُهُ :

مُلَّ ٱلْمَقَامُ فَكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً
أَمَرَتْ - بِغَيْرِ صَلَاحِهَا - أُمَرَاؤُهَا
ظَلَمُوا ٱلرَّعِيَّةَ ، وَٱسْتَبَاحُوا كَيْدَهَا
وَعَدَوْا مَصَالِحَهَا ، وَهُمْ أُجَرَاؤُهَا

٣ ـ ٱلْمُشِيرَانِ

وَلَوْلَا إِشَارَاتٌ سَرِيعَةٌ بَدَرَتْ مِنْ شَاعِرِنَا فِي هٰذِهِ ٱلرِّسَالَةِ لَمَا عَرَفْنَا مِنْ شَأْنِ صَاحِبَيْهِ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً .

عَلَى أَنَّهَا إِشَارَاتٌ أَشْبَهُ بِالرُّمُوزِ لِمَا يَكْتَنِفُهَا مِنْ غُمُوضٍ وَخَفَاءٍ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنَ ٱلنُّسْخَةِ ٱلْمَخْطُوطَةِ لِهٰذِهِ ٱلرِّسَالَةِ أَكْثَرُ مِنْ إِطْلَاقِهِ عَلَى مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ وَعَلَى صَدِيقِهِ ٱلَّذِي حَلَّ ضَيْفاً عَلَيْهِ : أَنَّهُمَا « سَيِّدَاهُ ٱلْأُسْتَاذَانِ » ، وَأَنَّهُمَا - لِعُلُوِّ مَنْزِلَتَيْهِمَا عِنْدَ شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ - مُشِيرَانِ .

وَأَنَّ كُنْيَةَ ٱلضَّيْفِ هِيَ « أَبُو عَلِيٍّ » . وَقَدْ حُذِفَتْ كُنْيَةُ ٱلْمُضِيفِ ٱلَّذِي هَنَّأَهُ شَاعِرُنَا بِقُدُومِ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ - عَمْداً أَوْ

ٱضطِرَاراً ـ وَٱستُعِيضَ مِنْهَا بِكُنْيَةِ « أَبِي فُلَانٍ » . ثُمَّ رَاحَ يَصِفُ هٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ : « أَبَا عَلِيٍّ » « وَأَبَا فُلَانٍ » بِمَا شَاءَتْ لَهُ مُجَامَلَتُهُ وَمُدَارَاتُهُ أَنْ يُضْفِيَ عَلَيْهِمَا مِنْ بَاهِرِ ٱلْمَزَايَا ، وَنَادِرِ ٱلْخِلَالِ ، وَيُقَرِّرُ ـ عَلَى عَادَتِهِ فِي مُصَانَعَةِ مُعَاصِرِيهِ ـ أَنَّهُمَا عَلَمَانِ ، لَمْ يَجُدْ بِمِثْلِهِمَا ٱلدَّهْرُ إِلَّا فِيمَا سَبَقَ مِنَ ٱلزَّمَانِ ، مِنْ أَمْثَالِ « صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ » « وَسَهْلِ ٱبْنِ هَارُونَ » « وَعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ٱلْعِبَادِيِّ » وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ قَادَةِ ٱلْفِكْرِ ، وَأَعْيَانِ ٱلدَّهْرِ ، وَأَسَاطِينِ ٱلْبَيَانِ ، وَأَعْلَامِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْعِرْفَانِ .

٤ ـــ كُنُوز مفقودة

وَمَنْ يَدْرِي فَلَعَلَّ نَاسِخَ ٱلرِّسَالَةِ قَدْ حَذَفَ ٱلْأَسْمَاءَ عَمْداً ، أَوْ ٱضْطِرَاراً ـ كَمَا أَسْلَفْنَا ـ أَوْ لَعَلَّهُ حَذَفَهَا ، سَهْواً ، أَوِ ٱسْتِغْنَاءً ، فَعِلْمُ ذٰلِكَ عِنْدَ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ . وَلَعَلَّنَا لَوْ ظَفِرْنَا بِنُسْخَةٍ أُخْرَى لَرَأَيْنَا فِيهَا مَا نَتَوَخَّاهُ ، وَعَرَفْنَا مِنَ ٱلْحَقَائِقِ مَا جَهِلْنَاهُ ، فَقَدْ ضَاعَتِ ٱلْكُنُوزُ ٱلْعَلَائِيَّةُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا ـ عَلَى كَثْرَتِهَا ـ إِلَّا آحَادٌ مِنَ ٱلْكُتُبِ وَٱلْكَرَارِيسِ . وَلَنْ تَزِيدَ ٱلْخَسَارَةُ بِجَهْلِ تِلْكَ ٱلْأَسْمَاءِ ، شَيْئاً مَذْكُوراً بِٱلْقِيَاسِ إِلَى ٱلْكُنُوزِ ٱلْعَلَائِيَّةِ ٱلْمَفْقُودَةِ .

٥ ــ حذف الأسماء

عَلَى أَنَّ رَائِدَ ٱلْأَدَبِ ٱلْعَلَائِيَّ لَيَرَى ظَاهِرَتَيْنِ وَاضِحَتَيْنِ فِي أَثْنَاءِ دَرْسِهِ ، فَهُوَ يَرَى أَكْثَرَ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِمْ شَاعِرُنَا ـ فِي « سِقْطِ ٱلزَّنْدِ » وَفِي رَسَائِلِهِ ـ قَدْ حُذِفَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَكُنَاهُمْ وَأَلْقَابُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا ٱلْقَلِيلُ ، كَمَا حُذِفَتِ ٱلْبَوَاعِثُ ٱلَّتِي حَفَزَتْ شَاعِرَنَا إِلَى مُسَاجَلَتِهِمْ أَوْ مُرَاسَلَتِهِمْ . فَلَا يَكَادُ ٱلْبَاحِثُ يَظْفَرُ مِنْ ذٰلِكَ بِغَيْرِ ٱلتَّفِهِ ٱلْيَسِيرِ ٱلَّذِي لَا يَشْفِي غُلَّةً . وَأَغْلَبُ ٱلظَّنِّ أَنَّ « ٱلْمَعَرِّيَّ » قَدْ آثَرَ هٰذِهِ ٱلْخُطَّةَ حِينَ عُنِيَ بِتَسْجِيلِ آثَارِهِ ، وَإِثْبَاتِ رَسَائِلِهِ وَأَشْعَارِهِ ، لِيَكُونَ فِي ذٰلِكَ ٱلْحَذْفِ تَكْفِيرٌ عَنْ إِفْرَاطِهِ فِي مُجَامَلَةِ مَنْ تَوَرَّطَ فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ مُعَاصِرِيهِ ، بَعْدَ أَنْ أَسْرَفَ فِي مُصَانَعَتِهِمْ وَغَلَا فِي ٱلتَّوَدُّدِ إِلَيْهِمْ ، ٱتِّقَاءً لِمَا يَخْشَاهُ مِنْ أَذِيَّتِهِمْ ، وَإِيثَاراً لِسِيَاسَةِ ٱلتَّقِيَّةِ ٱلَّذِي أَخَذَ بِهَا نَفْسَهُ ، وَلَمْ يَحِدْ عَنْهَا طُولَ حَيَاتِهِ ، وَقَدْ أَوْجَزَهَا فِي قَوْلِهِ :

تَوَخَّ بِلُطْفِ ٱلْقَوْلِ رَدَّ مُخَالِفٍ
إِلَيْكَ ، فَكَمْ طِرْفٍ[1] يُسَكَّنُ بِالنَّقْرِ

---

(١) الطرف : الأصيل من الجياد .

وَلَقَدْ طَالَمَا كَانَ مُتَأَلِّماً اضْطِرَارَهُ لِلإِسْرَافِ فِي مُصَانَعَةِ النَّاسِ وَمُدَارَاتِهِمْ ، فَقَالَ :

أُرَائِيكَ ، فَلْيَغْفِرْ لِي اللهُ زَلَّتِي بِذَاكَ ، وَدِينُ الْعَالَمِينَ رِيَاءُ

وَإِنَّمَا اضْطُرَّ شَاعِرُنَا إِلَى الْمُصَانَعَةِ ، لِأَنَّ النَّاسَ - فِيمَا يَرَى ، وَرَأْيُهُ الْحَقُّ - يُبْغِضُونَ الصَّرَاحَةَ ، وَيَمْقُتُونَ الصِّدْقَ ، وَيُؤْثِرُونَ - بِطَبْعِهِمْ - بَاطِلَ الْقَوْلِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْأَخْبَارِ :

وَالْحَقُّ يُهْمَسُ بَيْنَهُمْ وَيُقَامُ لِلسَّوْءَاتِ مِنْبَرُ

وَمَا أَسْرَعَهُمْ إِلَى تَصْدِيقِ مَا يَرْفُضُ الْعَقْلُ إِثْبَاتَهُ ، وَتَكْذِيبِ مَا يُقِرُّهُ الْمَنْطِقُ مِنْ صَحِيحِ الْقَضَايَا :

إِذَا قُلْتُ الْمُحَالَ رَفَعْتُ صَوْتِي وَإِنْ قُلْتُ الْيَقِينَ أَطَلْتُ هَمْسِي

٦ ــ الصدق والكذب

وَلِلْمَعَرِّيِّ فِي تَسْوِيغِ الْكَذِبِ رَأْيَانِ : أَوَّلُهُمَا يُبْدِيهِ فِي الْكَذِبِ الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَيْهِ الِاضْطِرَارُ ، وَالثَّانِي فِي الْكَذِبِ الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَيْهِ الْفَنُّ ، فَهُوَ يُوصِيكَ أَنْ تَتَوَخَّى الصِّدْقَ مَا حَيِيتَ ، فَإِذَا عَرَّضَكَ لِلْهَلَاكِ أَوْصَاكَ بِمُجَانَبَتِهِ ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْكَ بَأْساً إِذَا

أسرفت في الكذب - بكل ما في وسعك - لتنقذ حياتك من التلف، فإنما مثلك في ذلك مثل من يضطره الجوع إلى أكل الميتة، فيقبل على المحظور كارهاً، أو يضطره المرض إلى مجانبة الماء، توقياً للهلاك، فيكف عنه توخياً للشفاء، ودفعاً للسقم، وفي ذلك يقول:

أصدق إلى أن تظن الصدق مهلكة

وبعد ذلك فاقعد كاذباً، وقم

فالمين جيفة مضطر ألم بها

والصدق كالماء: يخفى خيفة السقم»

وربما رسم لك خطته في مصانعة الظالمين، ومداراة الطغاة من الولاة الجائرين، في هذين البيتين:

يقول لك العقل الذي ميز الحجا

«إذا أنت لم تدرأ عدواً، فداره

وقبل يد الجاني التي لست قادراً

على قطعها، وارقب سقوط جداره»

٧ ــ أسد الدولة

وَقَدْ سَارَ شَاعِرُنَا عَلَى هٰذَا ٱلنَّهْجِ ٱلَّذِي قَرَّرَهُ، وَلَمْ يَفُتْهُ أَنْ يُدَارِيَ ٱلْجَانِينَ، وَيُصَانِعَ ٱلْبَاغِينَ، فَرَاحَ يَتَرَبَّصُ ٱلدَّوَائِرَ بِأَسَدِ ٱلدَّوْلَةِ «صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ» وَالِدِ «شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ» مُتَرَقِّباً سُقُوطَ جِدَارِهِ، حَتَّى إِذَا دَالَتْ دَوْلَتُهُ، لَمْ يَفُتْ شَاعِرَنَا أَنْ يُنَدِّدَ بِظُلْمِهِ حِينَ أَمْكَنَتْهُ ٱلْفُرْصَةُ مِنْ ذٰلِكَ، وَمِنْ غَمَزَاتِهِ فِيهِ قَوْلُهُ:

فَإِنِّي أَرَى ٱلْآفَاقَ دَانَتْ لِظَالِمٍ
يَغُرُّ بَغَايَاهَا، «وَيَشْرَبُ خَمْرَهَا»(١)

---

(١) تملك «أسد الدولة صالح بن مرداس» مدينة حلب من سنة ٤١٤ إلى ٤٢٠هـ، وهي السنة التي قتل فيها، ونجا ولده شبل الدولة هارباً إلى «حلب». وقد حاصر «صالح بن مرداس» «معرة النعمان» — موطن «أبي العلاء» — ونصب عليها المناجيق سنة ٤١٧هـ.

قالوا: واشتد صالح في الحصار لأهلها، فجاء أهل المعرة إلى الشيخ «أبي العلاء» لعجزهم عن مقاومته، لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به. وسألوا «أبا العلاء» أن يتداركهم بالخروج الى «صالح» بنفسه، وتدبير الأمر برأيه، إما بأموال يبذلونها، أو طاعة يعطونها.

فخرج ويده في يد قائده، وفتح له باب من أبواب المعرة وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل.
=

٨ ــ الكذب الفنّي

أَمَّا ٱلْكَذِبُ ٱلْفَنِّيُّ ٱلَّذِي يَضْطَرُّ إِلَيْهِ ٱلْخَيَالُ ،

= فقال صالح : هو « أبو العلاء » فجيئوني به .

فلما مثل بين يديه سلم عليه ثم قال :

« الأمير — أطال الله بقاءه — كالنهار الماتع (المرتفع قبل الزوال والضحى): قاظ وسطه ، وطاب أبْرَداه (وهما الغداة والعشي) .

أو كالسيف القاطع : لان متنه ، وخشن حداه .

« خذ العفو وأمر بالمعروف ، وأعرض عن الجاهلين »

فقال صالح » : « لا تثريب عليكم اليوم ، قد وهبت لك « المعرة » وأهلها » وأمر بتقويض الخيام فَقُوِّضت ورحل ، وشاعرنا يقول :

نجى« المعرة » من براثن« صالح » ... رب يعافي كل داء معضل

ما كان لي فيها جناح بعوضة ... الله ألحفهم جناح تفضل

وقد أشار « أبو العلاء » إلى هذا الحادث في لزومياته ، فقال :

« تغيبت في منزلي برهة ... ستير العيون فقيد الحسد

فلما مضى العمر ـ إلا الأقل ... وحم لروحي فراق الجسد

بعثت شفيعاً الى « صالح » ... وذاك ـ من القوم ـ رأي فسد

فيسمع مني سجع الحمام ، ... وأسمع منه زئير الأسد

فلا يعجبني هذا النفاق ، ... فكم نفّقت محنة ماكسد»

أما السبب الذي حفز « صالح بن مرداس » الى محاصرة المعرة ، وأغراه بالانتقام من أهلها ، فهو يتلخص في أن امرأة من « معرة النعمان » استغاثت =

فَقَـــدْ أَبْـدَعَ شَاعِرُنَا فِي ٱلِاعْتِـذَارِ عَنْـهُ فِي مُقَـدِّمَـــةِ

= بالمصلين في يوم الجمعة ، لأن ماجناً ، صاحب ماخور ، حاول أن يعتـــدي عليها ويغتصبها ، وكانت المرأة حاملاً ، فلم يمنعه ذلك من التعرض لها بالأذى ، ولم تكد تستنجد بالمصلين حتى أسرعوا الى نجدتها ، واشتد بهم الغضب فهدموا الماخور ، وأخـــذوا خشبه ونهبوه ، وكان « صالح بن مرداس » فـيما يقولون « في نواحي صيدا » – حينئذ – فأغراه وزيره « تادرس بن الحسن » بالتنكيل بأهل المعرة ، وزين له ذلك ، لأن فيه إقامة للهيبة » . قالوا : فوصـــل « صالح » إليها واعتقل نحو سبعين رجلاً من أهلهـا ، وشدد عليها الحصار كما مر بك .

ولقد لخص « المعري » هذه القصـة في لزومياته ، وأشار الى تلـــك الحامل بقوله :

أتت جامع – يوم العروبة – جامعاً تقص على الشهاد – بالمصر – أمرها

يقول : إن جامعاً (أي : امرأة حبلى) ، قد جاءت يوم العروبـــة (أي : يوم الجمعة) – جامعاً (أي : مسجداً) تروي قصتهـا لمن حضر من أهل البلد :

فان لم يقوموا ناصرين لصوتهـــا لخلت سمـــاء الله تمطر جمرها
فهدوا بنـاء : كان يأوي فنـاءه فواجر ، ألقت للفواحش خمرهـــا
وزامرة – ليست من الربد – خضبت يديها ، ورجليها تنفّق زمرهـــا

سِقْطِ ٱلزَّنْدِ [1] ، حِينَ عَرَضَ لِتَسْوِيغِ ٱضْطِرَارِهِ إِلَى حَـذْفِ أَسْمَاءِ مَنْ غَالَى فِي مُجَامَلَتِهِمْ ، وَأَسْرَفَ فِي تَخَيُّلِ ٱلْمَزَايَا ٱلْبَاهِرَةِ ٱلَّتِي تَحَلَّاهَا إِيَّاهُمْ فِي قَصَائِدِهِ ، مُعْتَذِراً عَمَّا ٱرْتَكَبَهُ مِنَ ٱلشَّطَطِ بِأَنَّهُ لَمْ يَعْنِ أَحَداً مِنْهُمْ بِمَا قَالَ [2] ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِمَا نَظَمَ فِي

---

(١) سقط الزند ، هو : اسم ديوانه الأول الذي جمع فيه ما قاله من الشعر في صدر شبابه ، وهو يعني بالسقط ما يسقط بين الزندين قبل استحكام الورى أي قبل أن تتقد النار .

والزند : العود الذي يقدح به النار ، وجمعه زناد ، وهو يقصد بهذه التسمية الى تشبيه طبعه بالزند الذي يقدح به النار ، وتشبيه أول ما قاله من الشعر بأول ما يسقط من الزند ، من الشرر الذي لا يبلغ أن يكون ناراً متقدة . قالوا : « وهذا الشعر أول ما سمح به طبعه في ميعة شبابه ، فسماه « سقط الزند » ، تجوزاً واستعارة .

(٢) ومن بديع تنصله من الأكاذيب الفنية التي فاض بها سقط الزند تعلله بأنها من ثمرات الشباب الجامح الذي يأبى إلا مجاراة الشعراء في ميادين باطلهم ، حتى لا يرمى بالقصور والعجز عن محاكاتهم والفوق عليهم ، كما ترى في قوله :

« إن الشعراء كأفراس تتابعن في مدى : ما قصر منها لحق ، وما وقف ذيم وسبق .

وقد كنت ، في ريان الحداثة (أول الشباب) وجن النشاط (شدته) ، مائلا في صفو القريض (خالصه وخياره) ، أعتده بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ » . =

رُبَّانِ ٱلْحِدَاثَةِ (أَوَّلِ ٱلشَّبَابِ) وَجِنِّ ٱلنَّشَاطِ (شِدَّةِ ٱلْمَرَحِ) إِلَى غَيْرِ مَرَانَةِ ٱلطَّبْعِ وَرِيَاضَتِهِ، ثُمَّ شَفَعَ ذٰلِكَ ٱلْإِعْتِذَارَ، بِآخَرَ فَقَالَ:

«وَلَمْ أَطْرُقْ مَسَامِعَ ٱلرُّؤَسَاءِ بِالنَّشِيدِ، وَلَا مَدَحْتُ طَالِباً لِلثَّوَابِ،

وَإِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ عَلَى مَعْنَى ٱلرِّيَاضَةِ وَٱمْتِحَانِ ٱلسُّوسِ[1] (ٱلطَّبْعِ).

= فهو يمثل الشعراء — في هذه المقدمة — بخيل يتسابقن في الحلبة، فأيهم قصر في جريه، وتهاون في عدوه، لحقه غيره وسبقه، واستولى على أمد السبق دونه.

وقد جرى «أبو العلاء» — في حداثته — مع الشعراء في هذه الحلبة، وحفزه طبعه الموهوب الى منازعتهم قصب السبق، ثم لم يلبث — حين نضجت مداركه — أن كف عن الجري في ذلك الميدان بعد أن تكشف له أنه يجري معهم في باطلهم، وأنه لا سبيل الى رجحانه عليهم إلا إذا فاقهم في الافك والبهتان، فاذا تورع عن المغالاة تخلف وسُبق، ورأى شاعرنا — ورأيه الصواب — أن القليل ربما أغنى عن الكثير، وأن الظمآن قد يرتوي من غير حاجة الى شرب كل ما يحتويه الإناء من ماء، وأن الإنسان يكتفي بالثمرة الواحدة ليعرف منها مدى جودة الشجرة من غير حاجة الى تقصي ثمرها كله، كما أن النفحة العطرة تدلك على زهرتها الطيبة.

(١) تقول: «الفصاحة من سوسه» أي: من طبعه.

فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي سَتَرَ بِغُفَّـــةٍ [1] مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ ، وَرَزَقَ شُبْعَةً مِنَ الْقَنَاعَةِ أَوْفَتْ عَلَى جَزِيلِ الْوَفْرِ . »

* * *

وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَزَفَ عَنْ هٰذَا الْبَاطِلِ ، وَنَفَرَ طَبْعُهُ مِنْ تِلْكَ الْأَكَاذِيبِ ، فَهَجَرَ الشِّعْرَ قَائِلاً فِي مُقَدِّمَةِ « سِقْطِ الزَّنْدِ » : ثُمَّ رَفَضْتُـــهُ (يَعْنِي الشِّعْرَ) رَفْضَ السَّقْبِ [2] غِرْسَهُ [3] وَالرَّأْلِ

---

(١) الغفة ما يتبلغ به من العيش ، والعرب تسمي الفأر : غفـــة السنور ، أي : بُلْغَة القط لأنه يتبلغ بها .

(٢) السقب : ولد الناقة اذا كان ذكراً ، فاذا كان أنثى فهو حائـل ، وهو ـ ساعة يولد ـ سليل ، قبل أن يعرف : أذكر هو أم أنثى .

(٣) الغرس : جلدة رقيقـــة ، تكون على الولد ساعة يولد ، قال : « أبو العلاء »

« وما برح الإنسان في البؤس مذ جرت به الروح ، لا مذ زال عن رأسه الغرس »

وهو يشير بذلك الى قول ابن الرومي ويعارض رأيه حين قال :

« لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا ، فما يبكيه منها ، وانها لأوسع مما كان فيـــه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل ، كأنه بمـا سوف يلقى من أذاها يهدد
وللنفس حالات تريهـــا كأنهـا تشاهد فيها كل غيب ستشهد »

(وَلَدِ ٱلنَّعَامِ) تَرِيكَتَهُ (بَيْضَتَهُ ٱلَّتِي خَرَجَ مِنْهَا وَهُوَ فَرْخٌ) ، رَغْبَةً عَنْ أَدَبٍ مُعْظَمُ جَيِّدِهِ كَـــذِبٌ ، وَرَدِيئُهُ يَنْقُصُ وَيَجْدِبُ (يَعِيبُ)[1] » .

وَهُنَا يَقُولُ : « وَمَا وُجِدَ لِي مِنْ غُلُوٍّ ، عَلِقَ - فِي ٱلظَّاهِرِ - بِآدَمِيٍّ ، وَكَانَ مِمَّـــا يَحْتَمِلُهُ صِفَاتُ ٱللهِ - عَزَّ سُلْطَانُهُ - فَهُوَ مَصْرُوفٌ إِلَيْهِ .

وَقَدْ أَخَذَ نَفْسَهُ - فِي قَابِلِ أَيَّامِهِ - بِهٰذَا ٱلْعَهْـــدِ ، فَوَقَفَ تَمْجِيـــدَهُ وَإِجْلَالَهُ عَلَى خَالِقِهِ وَحْدَهُ ، كَمَا تَرَى ذٰلِـــكَ فِي « ٱللزُومِيَّاتِ » ، « وَرِسَالَةِ ٱلْغُفْرَانِ » ، « وَٱلْفُصُولِ وَٱلْغَايَاتِ » .

٩ ــ ٱلْمُثُـــلُ ٱلْعُلْيَا

وَقَدْ أَشَارَ فِي تِلْكَ ٱلْمُقَدِّمَةِ ٱلنَّفِيسَةِ إِلَى مَبْدَإٍ جَلِيلٍ مَا أَجْدر

---

(١) وقد أعاد الإشارة الى ذلك في مقدمة اللزوميات ، فقال :
وقد كنت قلت في كلام لي قديم :
« إني رفضت الشعر ، رفض السقب غرسه ، والرأل تريكته »
وثم أفصح عما قصد إليه فقال :
« والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعين على نظامه بالشبهات » .

مُحِبِّي ٱلْأَدَبِ ٱلْعَرَبِيِّ أَنْ يَتَنَبَّهُوا إِلَى خَطَرِهِ وَنَفَاسَتِهِ ، فَآثَرَ أَنْ يُوَجِّهَ مَدَائِحَهُ إِلَى ٱلْمُثُلِ ٱلْعُلْيَا - حَيْثُمَا وُجِدَتْ - فِي أَفْذَاذِ ٱلْمَوْهُوبِينَ ، مِنْ سَالِفِ ٱلْقُدَامَى ٱلْغَابِرِينَ ، وَقَابِلِ ٱلذَّرَارِيِّ ٱلْقَادِمِينَ ، فَقَالَ :

« وَمَا صَلَحَ لِمَخْلُوقٍ سَلَفَ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ لَمْ يُخْلَقْ بَعْدُ ، فَإِنَّهُ مُلْحَقٌ بِهِ » .

ثُمَّ أَعْلَنَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا جَمَحَ بِهِ طَبْعُهُ ، فَقَالَ مُسْتَغْفِراً نَادِماً :

« وَمَا كَانَ مِنْ مَحْضِ ٱلْمَيْنِ لَا جِهَةَ لَهُ ، فَأَسْتَقِيلُ ٱللهَ ٱلْعَثْرَةَ فِيهِ » .

ثُمَّ وَصَلَ إِلَى ذِرْوَةِ ٱلتَّوْفِيقِ فِي تَعْلِيلِ ٱلْكَذِبِ ٱلْفَنِّيِّ وَتَسْوِيغِهِ ، فَقَالَ : « وَٱلشِّعْرُ - لِلْخَلَدِ (لِلنَّفْسِ أَوِ ٱلْقَلْبِ) - مِثْلُ ٱلصُّورَةِ لِلْيَدِ : يُمَثِّلُ ٱلصَّانِعُ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ .

وَيَقُولُ ٱلْخَاطِرُ (ٱلْقَلْبُ) ، مَا لَوْ طُولِبَ بِهِ لَأَنْكَرَهُ »

ثُمَّ لَخَّصَ دُسْتُورَ ٱلشُّعَرَاءِ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ مِنْ رِجَالِ ٱلْفُنُونِ . فَقَالَ :

« وَمُطْلَقٌ - فِي حُكْمِ ٱلنَّظْمِ - دَعْوَى ٱلْجَبَانِ : أَنَّهُ شَجِيعٌ ، وَلُبْسُ ٱلْعِزْهَاةِ ثِيَابَ ٱلزِّيرِ [1] ، وَتَحَلِّي ٱلْعَاجِزِ بِحِلْيَةِ ٱلشَّهْمِ ٱلزَّمِيعِ ،

---

(١) العزهاة : الزاهد في النساء : لا يحبهن ولا يتغزل فيهن ، وعلى العكس منه الزير ، فهو الولوع بزيارتهن ، المشغوف بتتبعهن ومخادعتهن .

(ٱلنَّشيطِ ٱلْجَـــرِيءِ) ».

١٠ ـــ أسمـاء المَمْدوحين

وَلَوْ أَخذْنا برأْيِ ٱلْمَعرِّيّ، وٱهتدَيْنا بِهَدْيِهِ، في فَهمِ قَصائِدِ ٱلْفُحُولِ ٱلْأَفْذاذِ مِنَ ٱلشُّعَراءِ «كَٱلْمُتَنبِّي» «وَٱبْنِ ٱلرُّومِيّ» «وَأَبي تَمَّامٍ» «وَٱلْبُحْتُرِيّ» «وَٱبْنِ زَيْدُونَ» «وَمِهْيار» «وَمَنْ إِلَيْهِمْ» مُتَغاضِينَ عَنْ كَثيرٍ مِنْ أَسْمَـــاءِ مَنْ ظَفِرَ بِمَدائِحِهِمْ أَوْ مُنِيَ بِأَهاجِيهِمْ، لَما خَسِرَتْ أَلْواحُهُمُ ٱلْفَنِّيَّةُ شَيْئاً، بَلْ لَعَلَّ ٱلْفائِدَةَ مِنْها تَعْظُمُ إِذا تَمَثَّلْنا تِلْكَ ٱلصُّوَرَ ٱلرَّائِعَةَ، مُوَجَّهَةً إِلى أَهْدافٍ أُخَرَ، أَسْمَى وَأَنْبَلَ مِنَ ٱلْأَغْراضِ ٱلَّتي قَصَدَ إِلَيْها مُنْشِئُوها، فَما أَكْثَرَ ما تَغَنَّى هٰؤُلاءِ ٱلْفُحُولُ بِٱلْمُثُلِ ٱلْعُلْيـا في أَشْعارِهِمْ ثُمَّ وَقَفَتْ أَسْماءُ ٱلْمَمْدُوحِينَ غُصَّةً في حَلْقِ ٱلْمُعْجَبِينَ، وَوَصْمَةً في جَبِينِ تِلْـــكَ ٱلْآياتِ ٱلَّتي أَبْدَعَها ٱلْأَفْذاذُ مِنْ فُحُولِنا ٱلْمَوْهُوبِينَ.

١١ ـــ إِسْرافُهُ في المجاملة

وَبِقَدْرِ ما تَرى مِنْ إِغْفالِ شاعِرِنا لِأَسْماءِ مُعاصِرِيهِ، تَرى

عِنَايَتَهُ بِشَرْحِ مَا غَمَضَ مِنْ أَلْفَاظِهِ ، وَتَجْلِيَةِ مَا ٱسْتَسَرَّ مِنْ مَعَانِيهِ ـ سَوَاءٌ فِي ذٰلِكَ شِعْرُهُ وَنَثْرُهُ ، وَرَسَائِلُهُ ، وَكُتُبُهُ . وَمَا أَكْثَرَ مَا نَرَاهُ يُمَهِّدُ لِشُرُوحِهِ بِأَلْوَانٍ بَارِعَةٍ مِنَ ٱلاعْتِذَارِ لِمَنْ يَخْتَصُّهُمْ بِشَرْحِهِ، فَهُوَ قَدْ يُنْحِي عَلَى نَفْسِهِ بِاللَّائِمَةِ ، أَوْ يَرْمِي نَفْسَهُ بِالْغَفْلَةِ ، كَمَا تَرَى قَوْلَهُ فِي « رِسَالَةِ ٱلْهَنَاءِ » هٰذِهِ ، مُعْتَذِراً لِمَنْ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، حَتَّى لَا يَجْرَحَ كَرَامَتَهُ ، مُلْتَمِساً مِنْهُ ٱلصَّفْحَ لِتَهَجُّمِهِ عَلَى مَقَامِهِ فِي ٱلْكِتَابَةِ إِلَيْهِ أَوَّلاً ، وَفِي شَرْحِ مَا كَتَبَهُ إِلَيْهِ ثَانِياً ، فَيَقُولُ :

« وَقَدْ أَتْبَعْتُ هٰذَا ٱلْإِطْنَابَ بِتَبْيِينِ أَلْفَاظٍ فِيهِ ، لِيَكُونَ ٱلْهَذَيَانُ كَامِلاً ، وَٱلْمَرَضُ ـ لِفُضُولِهِ ـ شَامِلاً » .

١٢ ـــ لُطْفُ الاعتذارِ

عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَفْصَحَ ـ فِي مَقَامٍ آخَرَ ـ عَنِ ٱلْبَوَاعِثِ ٱلْحَقِّ فِي عِنَايَتِهِ بِشَرْحِ مَا يَكْتُبُ ، وَجَلَا ـ فِي ثَنَايَا ٱعْتِذَارِهِ لِصَاحِبِهِ « ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ » ـ حَقِيقَةَ مَا يَهْدِفُ إِلَيْهِ وَيَتَوَخَّاهُ مِنْ تَفْسِيرِ مَا صَعُبَ مِنْ لَفْظِهِ ، وَتَجْلِيَةِ مَا خَفِيَ مِنْ مَعْنَاهُ ، فَقَالَ فِي

« رِسَالَةِ ٱلْغُفْرَانِ » ٱلَّتِي بَعَثَ بِهَا إِلَيْـــهِ :

وَهُوَ ـ آنَسَ ٱللهُ ٱلْإِقْلِيمَ بِقُرْبِهِ ـ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُشْرَحَ لَهُ مِثْلُ ذٰلِكَ ، وَإِنمَـا أَفْرَقُ مِنْ وُقُوعِ هٰذِهِ ٱلرِّسَالَةِ فِي يَدِ غُـــلَامٍ مُتَرَعْرِعٍ ، (نَاشِىءٍ)[1] ، لَيْسَ إِلَى ٱلْفَهْمِ بِمُتَسَرِّعٍ ، فَتَسْتَعْجِمُ (تَسْتَغْلِقُ) عَلَيْهِ ٱللَّفْظَةُ ، فَيَظَلُّ مَعَهَا فِي مِثْلِ ٱلْقَيْدِ ، لَا يَقْـــدِرُ عَلَى ٱلْعَجَلِ وَلَا ٱلرُّوَيْدِ[2] » .

١٣ ــ عنَايتَـــهُ بالتَّوضيحِ

وَقَرِيبٌ مِنْ هٰذَا قَوْلُهُ فِي مُقَدَّمَةِ لُزُومِيَّاتِهِ ، حِـــينَ عَرَضَ لِأَسْمَاءِ ٱلْقَافِيَةِ : « وَسَأَذْكُرُ مِنْهَا شَيْئاً مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ هٰذَا ٱلْكِتَابُ إِلَى قَلِيلِ ٱلْمَعْرِفَةِ بِتِلْكَ ٱلْأَسْمَاءِ » .

وَقَوْلُهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْهَا :

فَبَيِّنْ ــ إِذَا حَاوَلْتَ إِفْهَامَ سَامِعٍ ــ
فَإِنَّ بَيَـاناً مِنْ قَضَـــاءٍ مُعَـــدَّلِ

---

(١) يقال : صبي مترعرع ، أي : كاد يجاوز عشر سنين ، أو جاوزهـا .

(٢) العجل : السرعة ، والرويد : المهل .

تَقُولُ : « حُمَيْدٌ قَالَ » وَٱلْمَرْءُ مَا دَرَى :

« حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ [1] » أَمْ « حُمَيْدُ بْنُ بَحْدَلٍ [2] ؟ »

وَهُوَ يُطَالِبُ غَيْرَهُ بِالشَّرْحِ ، كَمَا يُطَالِبُ بِهِ نَفْسَهُ ، فَيُعَاتِبُ مَنْ يُقَصِّرُ فِي ذٰلِكَ مُتَبَرِّماً بِالْغُمُوضِ ٱلْمُضِلِّ ، وَٱلْإِيجَازِ ٱلْمُخِلِّ [3] ، فَيَقُولُ :

---

(١) يعني : « حميد بن ثور الهلالي » وقد مرت بك ترجمته في رسالة الغفران .

(٢) يعني : « حميد بن بحدل الكلبي » وهو من فرسان « كلب » وسادتها ، قالوا : « حميد بن حريث بن بحدل : الذي قتل من قتل من فزارة » .
وقد رفع حميد بن ثور لأن الفعل معلق عن العمل بالاستفهام المحذوف ، والتقدير : وما درى أحميد بن ثور المقصود للقائل أم حميد بن بحدل . كما في قوله تعالى : « وأنا لا ندري أشرٌ أريد » الآية .

(٣) على أن شروحه وتفاسيره لا تكفي الأديب العصري فهي كما وصفها شارح السقط في مقدمته ، فقال :
ولم يتفق له (يعني لديوانه سقط الزند) شرح يشفي غلة الصادي ، ويحقق أمنية الشادي ، سوى ضوء السقط الذي نقله « أبو زكريا : يحيى بن علي التبريزي » عن « أبي العلاء » - رحمهما الله - وهو غير واف بالمقصود ، ولا دال على الغرض المطلوب ، لتقاصره عن بلوغ ما يجب من الإبانة والإيضاح ، وقصوره على إشارات في مواضع معدودة ، لا تكشف الغطاء عن مشكلة ، ولا تشفي ذا غلة » .

«لَمْ تُبْدِ لِي عَنْكَ : إِلَّا مُجْمِلاً خَبَراً
وَقَدْ شَرَحْتَ لِغَيْرِي مُوضِحاً جُمَلَكْ»

١٤ ــ أَمْثِلَةٌ مِنْ شُرُوحِهِ

وَهُوَ لَا يَكْتَفِي بِشَرْحِ مَنْثُورِهِ ــ وَقَدْ قَبَسْنَا كَثِيراً مِنْ شُرُوحِهِ فِي مَوَاضِعِهِ مِنْ هٰذَا الْكِتَابِ ، وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَ الْأَقْوَاسِ الْمُرَبَّعَةِ ــ بَلْ يَتَعَدَّى ذٰلِكَ إِلَى شِعْرِهِ ، فَهُوَ يَتَوَخَّى ، إِفْهَامَ السَّامِعِ » ــ مَا وَسِعَهُ ذٰلِكَ ــ فَيَقُولُ مَثَلاً :

«وَفَوَائِدُ الْأَسْفَارِ [جَمْعِ السِّفْرِ] ــ فِي الدُّنْيَا ــ تَفُوقُ فَوَائِدَ الْأَسْفَارِ»

أَوْ يَقُولُ :

مَنْ لِي بِإِمْلِيسِيَّةٍ [أَعْنِي بِهَا :
وَجْنَاءَ[1] تَقْطَعُ ـ فِي الدُّجَى ـ الْإِمْلِيسَا[2]]

أَوْ يَقُولُ :

---

(١) الوجناء : الناقة الشديدة الصلبة ، أو : الناقة القوية العظيمة الوجنتين ،

(٢) الإمليس ، والامليسة : القفر ، أو : المفازة ليس بها نبات .

رَاعَتْكَ دُنْيَاكَ [مِنْ رِيعَ ٱلْفُؤَادُ] ، وَمَا
رَاعَتْكَ فِي ٱلْعَيْشِ [مِنْ حُسْنِ ٱلْمُرَاعَاةِ]

أَوْ يَقُولُ :

« فَلَا يُمْسِ فَخَّاراً [مِنَ ٱلْفَخْرِ] ، عَائِدٌ
إِلَى صَنْعَةِ ٱلْفَخَّارِ ، مِنْفَعِ يُضْرَبُ
لَعَلَّ إِنَاءً مِنْهُ يُصْنَعُ مَرَّةً ،
فَيَأْكُلُ فِيهِ — مَنْ أَرَادَ — وَيَشْرَبُ
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى ، وَمَا دَرَى
فَوَاهاً لَهُ ! بَعْدَ ٱلْبِلَى يَتَغَرَّبُ ،

أَوْ يَقُولُ :

أَلصَّبْرُ يُوجَدُ [إِنْ بَاءٍ لَهُ كُسِرَتْ]
لٰكِنَّهُ [بِسُكُونِ ٱلْبَاءِ] مَفْقُودُ[1] »

أَوْ يَقُولُ :

أَسْنَيْتُ [مِنْ مَرِّ ٱلسِّنِينَ] ، وَلَمْ أُرِدْ :
أَسْنَيْتُ [مِنْ ضَوْءِ ٱلسَّنَا ٱلْبَهَّارِ]

---

(١) الصبر (بكسر الباء) : عصارة شجر مر ، والصبر (بسكون الباء) : ترك الشكوى من البلوى .

أَوْ يَقُول :

نُودِيتَ : « أَلْوَيْتَ » ، فَانْزِلْ » [لَا يُرَادُ : أَتَى

سَيَرَى لِوَى ٱلرَّمْلِ] ، بَلْ [لِلنَّبْتِ إِلْوَاءُ[1]]

أَوْ يَقُولُ :

أَيَا ظَبْيَاتِ ٱلْإِنْسِ : [لَسْتُ مُنَادِياً

وُحُوشاً] : وَلٰكِنْ [غَانِيَاتٍ مَعَ ٱلْإِنْسِ[2]]

أَوْ يَقُولُ :

غَفَرْنَا [وَمَا أَعْنِي ٱغْتِفَاراً ، وَإِنَّمَا

عَنَيْتُ ٱنْتِكَاسَ ٱلْبُرْءِ ، لَا كَرَمَ ٱلْغَفْرِ[3]]

أَوْ يَقُولُ :

---

(١) ألوى القوم إلواء : صاروا الى اللوى من الرمل ، وألوى النبت إلواء : جف وهلك ، والمعري يقول : « ليس أول المعنيين مقصدي ، بل المعنى الآخر أردت » .

(٢) يقول : لا أعني ظبيات القنر الحقيقيات ، بل أعني شبيهات لهن ، من الغواني الانسيّات » .

(٣) غفر : ستر وعفا عن الذنب ، وغفر : نكس وعاوده المرض بعد الشفاء ، وشاعرنا يقرر أنه يقصد الى المعنى الآخر ، لأن نفوسنا – فيما يرى – لم تألف كرم الغفران ونبل الصفح عن المسيء

وَٱلدَّارُ تَدْمُرُ مِنْ كُلٍّ [وَمَـا غَرَضِي
كَوْنٌ بِـ « تَدْمُرَ » ، لٰكِنْ : مَنْزِلٌ دَمَرَا[1]] »

أَوْ يَقُولُ :

« مَا زَالَ رَبُّـكَ ثَابِتـاً فِي مُلْكِهِ
يَنْمِـي إِلَيْـهِ لِلْعِبَـادِ جُوَّارُ[2]
وَأَتَتْ عَلَى ٱلْأَكْوَارِ [جَمْعِ ٱلْكُورِ[3]] وَٱلْ
كَوْرِ ٱلْمُسَرَّحِ[4]] ، هٰذِهِ ٱلْأَكْوَارُ[5]

---

(١) الدمار : ضد العمار ، وتدمر : تخلو من ساكنيها ، و « تدمر » : اسم بلد قديم من بلاد الشـام ، يقول : « إنني أعني أن الدار تدمر ، أي تخلو من أهليها ، ولا يبقى أحد فيها ، ولست أعني بهذا اللفظ : البقاء بمدينة « تدمر ».

(٢) جؤار : استغاثة وضجيج وتضرع .

(٣) الكور (بضم الكاف) : الرحل بأداته ، وهو للبعير كالسرج وآلته للفرس ، (جمعه : أكوار) .

(٤) والكور (بفتح الكاف) الجماعة الكثيرة من الابل أو القطيع الضخم منها ، أو مائة وخمسون ، أو مائتان وأكثر ، والمسرّح : الذي يخرج الغـداة إلى المرعى .

(٥) الأجيال المتعاقبة ، والكور عند المنجمين خمس وثلاثون ألف سنة ، وفي « رسالة الغفران » يقول شاعرنا على لسان الجني : « ولقـد نظمت الرجز والقصيد قبل أن يخلق « آدم » بكَوْر أو كورين » . ومعنى البيت : « أن =

أَوْ يَقُولُ :

سَاحِلِيُّونَ [لَمْ أُرِدْ : سَاحِلَ ٱلْبَحْـ

ـرِ، وَلٰكِنْ : نَسْباً لِأَقْمَرَ سَاحِلْ[1]] »

أَوْ يَقُولُ :

مَتَى مَا تُحَاوِلْ فَارِساً [مِنْ فَرَاسَةٍ]

فَإِنِّي مِنْ « زَيْدٍ » وَ « بِسْطَامَ » أَفْرَسُ[2]

أَوْ يَقُولُ :

= الدهر يأتي على الابل المسرّحة وما عليها من الأحمال ، وقريب من هـذا المعنى قوله :

« فواها ، وويها لريب المنون كم جر عيراً بأحمالها »

يعني كم أفنى الموت الابل وما تحمله من الميرة .

(١) يصف الناس بأنهم كالحمر الناهقة ، فيقرر أنهم ساحليون نسبة الى أقمر ساحل ، والأقمر : حمار الوحش ، والساحل : الناهق ، وقبل هذا البيت يقول :

كالسوام الأنام ، هل فاز من سا فر منهم الى بطيء المراحل

بمني ، وفارسي ، وشامي ، وغاد – من أهل غربة – راحل

(٢) يعني زيد الخيل ابن مهلهل ، وقد سماه الرسول بعد إسلامه : « زيد الخير » وبسطام هو ابن قيس بن مسعود الشيباني ، وكلاهما من أشجع الفرسان .

إنْ قلْتُ : « صُفوا » بإلْغازٍ ـــ [فَمُعْتَمِدِي
صُفُّوا ـــ مِنَ ٱلصَّفِّ ، لَا صُفُّوا مِنَ ٱلْكَدَرِ]

وَهٰذَا ٱلْبَيْتُ يُذَكِّرُنَا بِقَوْلِهِ :

« صُوفِيَّةٌ ، مَا ٱرْتَضَوْا لِلصُّوفِ نِسْبَتَهُمْ ،
حَتَّى ٱدَّعَوْا : أَنَّهُمْ ـ مِنْ طَاعَةٍ ـ صوفُوا »

أَوْ يَقُولُ :

شَجَرُ ٱلْخِلَافِ قُلُوبُهُمْ ـــ وَيْحٌ لَهَا ـــ
[غَرَضِي : خِلَافُ ٱلْحَقِّ، لَا ٱلصَّفْصَافُ[1]]

عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُطْلِقُ ٱللَّقَبَ أَوِ ٱلْكُنْيَةَ دُونَ تَوْضِيحٍ أَوْ تَفْسِيرٍ مُكْتَفِياً بِدَلَالَةِ ٱلْمَقَامِ عَلَى صَاحِبِهَا ، فَيَجْتَزِئُ بِلَقَبِ « ٱلْكُوفِيِّ »

---

(١) الخلاف : صنف من الصفصاف ، والخلاف أيضاً المخالفة قالوا : وهي أعم من المضادة ، لأنك تقول مثلا : « الأبيض خلاف الأحمر والأسود » ولا تقول ضد الأحمر ، بل : الأبيض ضد الأسود ، فيكون الخلاف قد جرى على الاثنين جميعاً والضد على أحدهما فقط . والمعري يقرر أن قلوب الناس لا تنبت إلا الخلاف ، وأنه لا يعني بهذا اللفظ ، شجر الخلاف ، أي : الصفصاف ، بل شجر المخالفة للحق والمجانبة للصواب ، وقد وصف ابن الرومي صاحباً له وشبهه بشجر الخلاف (الصفصاف) فقال :

« فغدا كالخلاف يورق للعيـ ـن ويأبى الاثمار كل الاباء »

مَرَّةً ، وَهُوَ وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ ٱلْقَارِىءَ لَنْ يُخْطِىءَ صَاحِبَـــهُ ، وَلَنْ يُطِيـلَ تَفْكِيرَهُ ، وَهُوَ لَا بُدَّ مُهْتَدٍ بِاللَّمْحَـةِ ٱلْعَاجِلَةِ إِلَى أَنَّ شَاعِرَنَا يَعْنِي بِهِ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلتَّالِي ٱلْإِمَامَ « أَبَا حَنِيفَةَ » ، حِينَ يَقُولُ :

زَكوا ـ عَلَى مَذْهَبِ ٱلْكُوفِيِّ ـ أَرْضَكُمُ
وَجَانِبُوا رَأْيَـــهُ فِي مُسْكِرٍ طُبِخَا

ثم يُطْلِقُ هٰذَا ٱللَّقَبَ فِي بَيْتٍ آخَرَ ، فَلَا يَحْتَـاجُ إِلَى مَنْ يُخْبِرُكَ أَنَّهُ لَا يَعْنِي بِهِ غَيْرَ ٱلشَّاعِرِ ٱلْمَعْرُوفِ : « أَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ » ٱلَّذِي فَاضَ شِعْرُهُ بِالزُّهْدِ ، كَمَا فَاضَ شِعْرُ ٱلْبَصْرِيِّ : « أَبِي نُوَاسٍ » بِأَوْصَافِ ٱلْخَمْرِ ، وَإِلَيْكَ ٱلنَّصَّ :

أَمَا قَالَهُ « ٱلْكُوفِيُّ » فِي ٱلزُّهْدِ ، مِثْلَمَا
تَغَنَّى بِهِ « ٱلْبَصْرِيُّ » فِي صِفَـةِ ٱلْخَمْرِ ؟

وَقَـدْ يَشْفَـعُ ٱلْإِسْمَ بِوَصْفٍ مُوجَـزٍ يُعَـيِّنُ مُرَادَهُ ، فَهُوَ يَصِـفُ « جَرِيراً » بِأَنَّهُ : « أَخُو ٱلْقَوْلِ » فَنَعْلَمُ أَنَّـــهُ يَعْنِي ٱلشَّاعِرَ ٱلْإِسْلَامِيَّ ٱلْمَعْرُوفَ « جَرِيرَ بْنَ عَطِيَّةَ ٱلثَّقَفِيَّ » ، فَيَقُولُ :

وَٱلْمَنَايَا كَٱلْأُسْـــدِ تَفْتَرِسُ ٱلْأَحْـ
ـيَاءَ جَمْعـــاً ، وَلَا تَعَافُ ٱلْكَلِيبَا

مِثْلَ مَا قِيلَ فِي « جَرِيرٍ » : [أَخِي ٱلْقَوْ
لِ] : « يَصِيدُ ٱلْكُرْكِيَّ وَٱلْعَنْدَلِيبَا [1] »

★

(١) العندليب : البلبل ، والكركي : طائر معروف يقرب من الوز : أبتر الذنب ، رمادي اللون ، في خده لمعات سود ، قليل اللحم ، صلب العظم ، يأوي الماء أحياناً ، وأراد بالكليب في البيت قبله جماعة الكلاب .

يقول شاعرنا : إن المنايا كالأسود ، تفترس كل من تلقـاه : ما عظم وما حقر ، فهي مثل جرير الشاعر يصطاد كل ما يصادفه من المعاني : جليلهـا وحقيرها . والمعري يشير بهـذه النقدة الغامزة الى رأي بعض نقاد العرب في «جرير» ، فقد شبهوه بالأعشى ، وقال فيها الناقد المعروف « أبو عمر بن العلاء »: « إنهما كانا بازيين يصيدان العندليب والكركي » .

الفصل الثاني

شروح علائيَّـــة

وَقدْ جرَى شاعِرُنا في « رِسالَةِ ٱلْهَناءِ » عَلى مَألُوفِ عادَتِهِ ، فَأَتبعَهَا طَائِفةً مِنْ تَفْسِيرِ مَا صَعُبَ مِنْ أَلْفَاظِهَا ، وَشَرْحِ مَا غَمَضَ مِنْ أَغْرَاضِهَا ، فقَالَ :

« وَقَدْ أَتْبَعْتُ هَـذَا ٱلإِطْنَابَ بِتَبْيِينِ أَلْفَاظٍ فِيهِ ، لِيَكُونَ ٱلْهَذَيَانُ كامِلاً ، وَٱلْمَرَضُ — لِفُضُولِهِ[1] — شَامِلاً :

ٱلْيُرَنَّأُ : ٱلحِنَّاءُ ، قَالَ « مُزَرِّدٌ » :

يُقَنِّئُــهُ مَاءُ ٱلْيُرَنَّــا — تَحْتَــهُ
شَكِيرٌ[2]، كَأَطْرَافِ ٱلثَّغَامَةِ[3] نَاصِلُ[4]

---

(١) الفضل : الزيادة وجمعه فضول ، وقد استعمل الجمع استعمال المفرد ، فيما لا خير فيه ، ولا يعني صاحبه الاشتغال به ، لأنه جعل علماً لهذا المعنى فنزل منزلة المفرد ، ولهذا نسب إليه على لفظه ، فقيل : « هو فضولي » .

(٢) الشكير : الشعر في أصـــل عرف الفرس وما ولى الوجه والقفا من =

يُقَنِّئُهُ : يَجْعَلُهُ قَانِئاً أَيْ : أَحْمَرَ ، وَيُقَالُ فِي ٱلْمَثَلِ « ٱلْحُسْنُ أَحْمَرُ » وَٱلْعَامَّةُ يَتَأَوَّلُونَ هٰذَا ٱلْكَلَامَ عَلَى أَنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا كَانَ جَمِيلاً كَانَ لَوْنُهُ إِلَى ٱلْحُمْرَةِ ، وَعَلَى ذٰلِكَ يُحْمَلُ ٱلْبَيْتُ ٱلْمَنْسُوبُ إِلَى بَشَّارٍ :

غَطَّتْ بِحُمْرَةِ ثَوْبِهَا قَسَمَاتِهَا ، وَٱلْحُسْنُ أَحْمَرْ

وَأَهْلُ ٱللُّغَةِ يَحْمِلُونَ ٱلْمَثَلَ عَلَى غَيْرِ هٰذَا ٱلْمَعْنَى وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ٱلْمُرَادَ : أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا طَلَبَ أَمْراً حَسَناً صَبَرَ عَلَى سَفْكِ ٱلدَّمِ ، وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ : دُونَهُ ٱلْمَوْتُ ٱلْأَحْمَرُ ، وَعَلَى نَحْوٍ مِنْ هٰذَا يَتَأَوَّلُونَ قَوْلَ « أَبِي زُبَيْدٍ » :

= الشعر ، والنبت صغاره بين كباره ، أو أول النبت على أثر النبت الهائج المغبر .

(٣) الثغامة ، واحدة الثغام ، وهو : شجر أبيض الزهر والثمر ، كأن جماعتها هامة شيخ . وأثغم الوادي أنبته :

و ـ الرأس : صار كالثغامة بياضاً ، و ـ الاناء : ملأه ، و ـ فلاناً أغضبه أو فرحه ، ولون ثاغم : أبيض كالثغام .

(٣) نصلت اللحية (من بابي نصر ومنع) نصولا فهي ناصل : خرجت من الخضاب . تقول : « لحية ناصل » أي : « خارجة من الخضاب » .

إِذَا عَلِقَتْ قِرْنًا خَطَا طِيفُ كَفِّهِ
رَأَى ٱلْمَوْتَ - بِالْعَيْنَيْنِ - أَسْوَدَ أَحْمَرَا

وَٱلْمُرَادُ بِٱلْمَثَلِ - فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ - مَذْهَبُ[1] ٱلْعَامَّةِ.

وَٱلْأَحَمُّ: ٱلْأَسْوَدُ.

وَيُهَارُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: هُرْتُهُ بِكَذَا إِذَا رَمَيْتَهُ بِهِ، وَقِيلَ: «مَعْنَى هُرْتُهُ»: مَعْنَى ظَنَنْتُ بِهِ ٱلشَّيْءَ وَهُوَ عَلَى خِلَافِهِ. قَالَ ٱلرَّاجِزُ يَذْكُرُ ٱلْإِبِلَ:

قَدْ عَلِمَتْ جِلَّتُهَا[2] وَخُورُهَا[3]
أَنِّي - بِسُوءِ ٱلشُّرْبِ - لَا أَهُورُهَا

وَٱلْوَرْسُ: ٱلْعَيْبُ.

وَٱلْعِرِّيسَةُ: مَوْضِعُ ٱلْأَسَدِ، وَٱلْمَثَلُ ٱلسَّائِرُ: «كَمُبْتَغِي ٱلصَّيْدِ فِي عِرِّيسَةِ ٱلْأَسَدِ».

---

(١) وفي رواية أخرى [قول العامة].

(٢) الجلة (هنا) الابل المسنة.

(٣) الخور: جمع خوّارة وهي: الناقة الغزيرة اللبن، (وهو جمع على غير قياس).

مُجَنَّسَاتٍ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : « جَنَأَ عَلَيْهِ » ، إِذَا ٱنْحَنَى عَلَيْهِ ؛ وَفِي ٱلْحَدِيثِ : أَنَّهُ رَجَمَ يَهُودِيًّا وَيَهُودِيَّةً فَجَعَلَ يَتَجَانَأُ عَلَيْهَا .

وَأَرَمَّتْ ، أَيْ : سَكَتَتْ ، قَالَ ٱلرَّاجِزُ :

يَرِدْنَ ، وَٱللَّيْلُ مُرِمٌّ طَائِرُهْ
مُلْقًى رُوَاقَاهُ[1] هُجُودٌ سَائِرُهْ

وَٱلْخَيْطَلُ : ٱلسِّنَّوْرُ ، وَٱلشُّرْعُوبُ : ٱبْنُ عِرْسٍ ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

مَا كَانَ يَمْلِكُ أَنْ يَسْعَى مَسَاعِيَنَا
آلُ ٱلثَّعَالِي[2] وَأَبْنَاءُ ٱلسَّرَاعِيبِ

وَٱلْفِرْنَبُ : ذَكَرُ ٱلْفَأْرِ ، وَرُبَّمَا قَالُوا ٱلْفِرْنَبُ ٱلْفَأْرَةُ وَيُنْشَدُ :

« يَدِبُّ — بِاللَّيْلِ — لِجَارَاتِهِ كَضَيْوَنٍ[3] دَبَّ إِلَى فِرْنِبِ »

---

(١) أرواق الليل : أثناء ظلمته .

(٢) الثعالي : الثعالب، كما تقول الأراني والأرانب، والضفادع والضفادي، وقد مر بك ذلك .

(٣) الضيون — كما علمتَ — القط .

وَٱلنَّمْرُ ــ بِسُكونِ ٱلْمِيمِ ــ لغَةٌ كَثِيرَةٌ فِي « رَبِيعَةَ » وَمَنْ جَاوَرَهَا ، يَقُولُونَ : « ٱلنَّمْرُ بْنُ قَاسِطٍ » وَيَفْعَلُونَ ذٰلِكَ بِجَمِيعِ ٱلْأَسْمَاءِ وَٱلْأَفْعَالِ ٱلَّتِي عَلَى وَزْنِ هٰذَا ، وَكَذٰلِكَ مَا كَانَ مَضْمُومَ ٱلْعَيْنِ مِثْلَ : « ظَرُفَ ٱلرَّجُلِ » ، فَيَقُولُونَ : « ظَرْفَ ٱلرَّجُلُ » ، بِسُكُونِ ٱلرَّاءِ وَٱلْجِيمِ .

وَ « أُسَامَةُ » ، مِنْ أَسْمَاءِ ٱلْأَسَدِ ، قَالَ ٱلشَّاعِر :

تَعْدُو ٱلْمَنَايَا عَلَى أُسَامَةَ فِي ٱلْغِـ

ـيلِ [1] عَلَيْهِ ٱلطَّرْفَاءُ [2] وَٱلْأَسَلُ [3]

وَٱلْفُورُ : ٱلظِّبَاءُ لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا .

وَٱلنَّاهِضُ : ٱلْفَرْخُ [4] قَبْلَ أَنْ يَكْمُلَ نَبَاتُ رِيشِهِ .

وَمُعْتَاماً أَيْ : مُخْتَاراً .

---

(١) الغيل : مأوى الأسد .

(٢) الطرفاء : شجر ، وهي أربعة أصناف ، منها الأثل .

(٣) الأسل : نبات ، وشوك النخل ، وعيدان تنبت بلا ورق .

(٤) وأم ناهض : كنية الحمامة ، قال شاعرنا في لزومه :

« لقد أكثرت ــ في يومها ــ أم ناهض ... من السجع ، حتى مل منطقها الهذر

وقد عذرت في نوحها وغنائها ... فلما أطالت فيهما ، بطل العذر »

وَٱلتَّثْرِيبُ : ٱلْأَخْذُ عَلَى ٱلذَّنْبِ .

وَرَدَيَّ فِي مَعْنَى رَدَايَ — أَيْ ٱلْهَلَاكُ ٱلَّذِي يَنْزِلُ بِهِ مِنْ قِبَلِي — وَهٰذِهِ لُغَةٌ لِلْعَرَبِ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي ٱلْمَقْصُورِ كُلِّهِ ، فَيَقُولُونَ هُدَيَّ وَنَوَيَّ ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي جَاوَرْتُ « كَعْباً » فَكَانَ جِوَارُ بَعْضِ ٱلنَّاسِ غَيَّا
فَأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُمْ ، لَعَلِّي أُصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجْ نَوَيَّا

* * *

وَيُقَالُ هُوَ « ضُلُّ بْنُ ضُلٍّ » إِذَا كَانَ لَا يُعْرَفُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَبُوهُ (١) وَيُنْشَدُ :

---

(١) « ضل بن ضل » أي : منهمك في الضلال » .

وهو من التعبيرات التي جرت على لسان المعري وقلمه في غير هذا الموضع . ففي « رسالة الغفران » يراه القارىء في منافرة الشاعرين : « الأعشى » و « الجعدي » التي أثارها « أبو العلاء » بينهما في جنة الفردوس ، وأبدع في تمثيل « الجعدي » ، وهو ينافر صاحبه الأعشى ويلاحيه ويقول له مغضباً حانقاً :

« اسكت يا « ضل بن ضل » ، فأقسم إن دخولك الجنة من المنكرات ، ولكن الأقضية جرت كما شاء الله ، لحقك أن تكون في الدرك الأسفل من النار ، ولقد صلى بها من هو خير منك . ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت : « إنه غلط بك ... الخ »

« وَإِنَّ زِيَادَكُمْ « ضُـــلُّ بْنُ ضُلّ »
وَإِنَّا مِنْ إِيَـــادِكُـــمُ بَرَاءُ »

« وَهَيُّ بْنُ بَيٍّ[1] » فِي ذٰلِكَ ٱلْمَعْنَى قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَهَـــا شَهِيدَانِ مِنْ زُورٍ ، وَكَاتِبُهَـا
« هَيُّ بْنُ بَيٍّ » وَمَجْنُونُ بْنُ شَيْطَـــانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : « هَيُّ بْنُ بَيٍّ » رَجُلٌ : رَحَلَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ذَهَبَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ خَبَرٌ ، وَقِيلَ : قُتِلَ فَلَمْ يُؤْخَذْ بِثَـــأْرِهِ » .

---

(١) « هي بن بي » و « هيان بن بيان » كنايـــة عمن لا يعرف هو ، ولا يعرف أبوه . يقال : لا أدري : أي : « هي بن بي » هو ؟ معناه : « أي الخلق هو ؟ » وقال ابن الأعرابي : « هي بن بي » و « هيان بن بيان » و « بي بن بي » يقال ذلك للرجل إذا كان خسيساً ، وأنشد « ابن بري » :

فأقعصتهم ، وحطت بركها بهمو وأعطت النهب « هيان بن بيان »

أقعصتهم : قتلتهم وأجهزت عليهم .. البرك : الصدر – حطت بركها بهمو ، أي : أناخت عليهم بكلكلها ، أي : صرعتهم »

وقال بعضهم :

« بعرض من بني : هي بن بي » وأنـذال الموالي والعبيـــد »

[و « هي بن بي » في هـــذا المعنى – (يعني في معنى « ضل بن ضل ») وهكذا الى آخر تلك الأساطير التي لا تخرج عما أسلفناه .

وَرَيِّقُ ٱلشَّبَابِ : أَوَّلُهُ ٱلَّذِي يَرُوقُ مِنْهُ .

وَرَوْقَا فَزَارَةَ رَجُلَانِ ، وَهُمَا : « عَمْرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ هِلَالِ ٱبْنِ سُمَيِّ بْنِ عُقَيْلِ بْنِ مَازِنِ بْنِ فَزَارَةَ [1] ، وَبَدْرُ ٱبْنِ عَمْرِو بْنِ جُوَيَّةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ فَزَارَةَ .

وَٱلرَّوْقَانِ : ٱلْقَرْنَانِ ، وَقِيلَ لِلسَّيِّدِ : « رَوْقٌ » لِأَنَّهُ يَحْمِي ٱلْعَشِيرَةَ كَمَا يَحْمِي ٱلْوَحْشِيُّ نَفْسَهُ بِرَوْقِهِ ، قَالَ « قُرَادُ بْنُ حَنَشٍ ٱلصَّادِرِيُّ » :

« إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلْعَمْرَانِ : « عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ »
وَبَدْرُ بْنُ عَمْرٍو ، خِلْتَ ذُبْيَانَ تُبَّعَا

وَٱلْعَمْرَانِ [2] هَا هُنَا مِنَ ٱلْأَسْمَاءِ ٱلَّتِي غُلِّبَ بَعْضُهَا عَلَى

---

(١) قال في لزومه :

« قد عاد شوك « فزارة » متحرقاً وتصدعت من « دارم » الأحجار »

(٢) قال في فصوله : « انكسف بدر « ذبيان » فلم ينر ، وهلك هلالها فلم يسفر (لم يضىء) ثم قال مفسراً :

« بدر ذبيان » : هو « بدر بن عمرو » ، وهو أبو « حذيفة بن بدر » و « هلال » : رجل من « فزارة » وهو من أجداد « عمرو بن جابر » =

بَعْضٍ لِأَنَّ ٱلرَّجُلَيْنِ : « بَدْرٌ » « وَعَمْرو » .

وَٱلْبَرْدَانِ : ٱلْغَدَاةُ وَٱلْعَشِيُّ ، وَهُمَا ٱلصَّرْعَانِ .

وَٱلْحَنْتَفَانِ ، هُمَا : « ٱلْحَنْتَفُ » « وَأَوْسٌ » ٱبْنَا « سَيْفِ » بْنِ « حِمْيَرِيٍّ » بْنِ « يَرْبُوعِ » بْنِ « حَنْظَلَةَ » بْنِ « مَالِكِ » ٱبْنِ « زَيْدِ مَنَاةَ » بْنِ « تَمِيمٍ » .

* * *

وَٱلزَّهْدَمَانِ مِنْ بَنِي عَبْسٍ وَهُمَا : زَهْدَمٌ وَقَيْسٌ ، وَيُقَالُ « زَهْدَمٌ » وَ « كَرْدَمٌ » .

وَٱلزَّهْدَمُ : ٱلصَّقْرُ ، فِيمَا يُقَالُ .

= الذي يقال – له ولبدر بن عمرو – : « العمران » ، وهما : روقا فزارة (سيداها) .

قال قريش بن حنش الصادري :

إذا اجتمع العمران : «عمرو بن جابر» و«بدربن عمرو»خلت «ذبيان» «تبعا»
وألقوا مقاليد الأمور اليهما جميعا قماء صاغرين وطوعا

قماء : يعني أذلاء صاغرين ، قال في لزومه :

« نهاب أموراً ثم نركب هولها – على عنت – من صاغرين قماء »

يعني « يا لنا من عجزة ضعاف أذلاء » .

وَيُقَالُ إِنَّهُمَا أَسَرَا « حَاجِبَ بْنُ زُرَارَةَ » يَوْمَ « جَبَلَةَ » فَغَلَبَهُمَا عَلَيْهِ ذُو ٱلرُّقَيْبَةِ ٱلْقُشَيْرِيُّ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ « قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ » عَلَى أَنْ يَأْخُذَ ٱلزَّهْدَمَانِ مِائَةً مِنَ ٱلْإِبِلِ .

وَٱلْأَبْسُ : « تَصْغِيرُ[1] ٱلْإِنْسَانِ وَظُلْمُهُ » .

وَٱلْبَارِضُ : أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ مِنَ ٱلنَّبَاتِ .

وَٱلْعَارِضُ : سَحَابٌ يَعْرِضُ فِي أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ .

وَقَوْلُ ٱلْفَرَزْدَقِ :

« بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجَبْهَةِ ٱلْأَسَدِ » .

يُحْسَبُ مِنَ ٱلضَّرُورَاتِ ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بَيْنَ ذِرَاعَيْ ٱلْأَسَدِ وَجَبْهَةِ ٱلْأَسَدِ ، فَحَذَفَ ٱلَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ ٱلذِّرَاعَانِ ، فَخَفْضُ ٱلْأَسَدِ فِي ٱلْقَافِيَةِ عَلَى هٰذَا ٱلْوَجْهِ بِإِضَافَةِ جَبْهَةِ إِلَيْهِ ، وَٱلْآخَرُ أَنْ

---

(١) يقال أبسه يأبسه أبسا من باب ضرب صغره وحقره ووبخه وأذله وقهره .

يُرِيدَ بَيْنَ ذِرَاعَيِّ ٱلْأَسَـــدِ وَجَبْهَتِهِ ، فَحَذَفَ مَا أُضِيفَ إِلَيْـــهِ[1] .

---

(١) قال شاعرنا في كتاب « عبث الوليد » (ص ٣١) حين عرض لقول « البحتري » :

أنست ذا وذاك إحدى وعشرو ك بغصن من الشباب رطيب

فقال : « قوله : إحدى وعشروك جائز إلا أنه ليس بوجه الكلام ، وإنما الواجب أن يقال : إحداك وعشروك . إلا أنه حذف المضاف من الكلمة الأولى لمجيئه في الكلمة الثانية ، وقبيح أن يقـــال في الكلام : « جاءني غلام وجاريتك » وأنت تريد : « جاءني غلامك وجاريتك » لأنك إن نونت غلاماً لم يبق فيه دليل على الاضافة ، ولا يعلم أنه غلام المخاطب إذا عـدم الكاف ، وان جاءت في قولك : « وجاريتك » ، لأنه يكون منكوراً .

وان حذفت تنوين « الغلام » دخل ذلك في الضرورات ، فصـار مناسباً قول القائل :

« يا من رأى عارضاً أرقت له بين ذراعي وجبهـة الأسد »

« يريد : بين ذراعي الأسد وجبهة الأسد »

ومثله قول الأعشى :

إلا عـلالة أو بـــدا هة قارح نهـد الجزارة

على مذهب من يري ان المضاف اليه محذوف من الكلمة الأولى . =

وَأَوْجَرُ : خَـــائِفٌ .

وَبَشِيكٌ : مَكْـــذُوبٌ .

وَالسَّدِينُ : ثَوْبٌ مِنْ كَتَّـــانٍ .

★

= أقول : ولقـــد كان « ابن زيدون » أصـــح أسـلوباً من البحتري حيث قال :

« وما أعطت السبعون – قبلُ – أولى الحجى ،
من الإرب ، ما أعطـــاك عشروك والعشر »

الفصل الثالث

ترجمة الرسالة

\- ١ -

وَهٰذِهِ رِسَالَةُ شَاعِرِنَا « أَبِي ٱلْعَلَاءِ »

يَسْتَهِلُّهَا بِالْهَنَاءِ ، هَنَاءٍ يُقْرَنُ بِهِ نُورٌ وَضِيَاء ، وَحُسْنٌ وَبَهَاء ، وَرِفْعَةٌ وَسَنَاء ، وَسُمُوٌّ وَٱعْتِلَاء .

لَا بَلْ يَسْتَهِلُّهَا بِآيَاتٍ مِنَ ٱلتَّهَانِي ، يُرْغِمُ لَهَا أَنْفُ ٱلْمُبْغِضِ ٱلشَّانِي .

تَتَوَالَى تِلْكَ ٱلتَّهَانِي ، وَيَتَرَادَفُ بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ إِلَى ٱلْأُسْتَاذِ طَالَ عُمْرُهُ ، وَبَقِيَ فِي ٱلسَّعْدِ ٱلطَّالِعِ ، مَا خَلَدَ جَبَلُ مَتَالِعَ ، وَهُوَ بَعْضُ جِبَالِ ٱلْبَادِيَةِ ، يَبْقَى مَا بَقِيَتِ ٱلْفَانِيَةُ ...

تَهَانِئُ بَكَرَ (تَقَدَّمَ وَسَبَقَ) وَسْمِيُّهَا (وَهُوَ مَطَرُ ٱلرَّبِيعِ

ٱلأوَّلُ)[1] وَتتابعَ وَلِيُّها[2] (ٱلْمطرُ بَعْدَ ٱلْوَسْمِيِّ).

بِقُدُومِ ٱلْأُسْتاذِ أَليفِ ٱلنَّبالَةِ، وَحليفِ ٱلْجلالَةِ،

ٱلْأُسْتاذِ «أَبي عَلِيٍّ» لا فَتِيءَ لِلدَّهرِ أَنفسَ حُلِيٍّ،

فَهُوَ بِكِلَا ٱلْأَمْرَيْنِ — ٱلْهَناءِ وَٱلتَّهاني — يُهَنَّأُ،

خضَبَ لَوْنَهُ ٱلْيَرَنَّأُ،

أَيْ لَوَّنَهُ ٱلْيَرَنَّأُ وَهُوَ ٱلْحِنَّاءُ بِحُمْرَةِ ٱلْحُسْنِ، فَهُوَ بِالْخِضَابِ مُحَنَّأٌ.

وَبِلَوْنِ ٱلْحُسْنِ مُهَنَّأٌ،

وَيَرَنَّأُ ٱلْحُسْنِ لَا يَعْدُو صِنْفَيْنِ، وَلَا يَتَجاوَزُ لَوْنَيْنِ،

أَحَدُهُمَا: أَحَمُّ أَسْوَدُ، وَهُوَ لَوْنُ ٱلشَّبابِ،

وَثانِيهِمَا أَحْمَرُ قَانِيءٌ وَهُوَ لَوْنُ ٱلْحُسْنِ.

وَقَدْ قالُوا: «ٱلْحُسْنُ أَحْمَرُ»[3]. وَلَا يَتِمُّ ٱلْجمالُ فِي

---

(١) الوسمي، سمي كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات، وهو من بشائر الرخاء.

(٢) الولي: المطر يسقط بعد المطر، أو هو المطر بعد الوسمي.

(٣) أحمر: في لونه حمرة، وفي المثل: «الحسن أحمر» والشاب الجميل من يكون لونه إلى الحمرة.

أَزْهَرَ أَقْمَرَ . إِلَّا إِذَا كَانَ أَحَمَّ[1] ٱلشَّبَابِ .

- ٢ -

وَبَعْدَ أَنْ مَهَّدَ شَاعِرُنَا لِلتَّهْنِئَةِ بِهٰذِهِ ٱلتَّوْطِئَةِ .

رَأَى أَنَّهُ غَيْرُ حَرِيٍّ بِهٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةِ ، حِينَ أَنْفَذَ إِلَيْهِ - مِنْ بَيَانِهِ - صَحِيفَةً مُرْسَلَةً .

لِأَنَّ ٱلتَّهْنِئَةَ — فِيمَا يَرَى شَاعِرُنَا — يَجِبُ أَنْ تَقَعَ بَيْنَ ٱلْأَكْفَاءِ ، وَلَا يَحْسُنُ تَبَادُلُهَا إِلَّا بَيْنَ ٱلنُّظَرَاءِ .

وَلَا يُقَدَّرُ ٱلتَّعَرُّضُ لَهَا بِمَقَادِيرِ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْمَقَةِ ، وَلَا يُقَاسُ بِمَقَايِيسِ ٱلْإِخْلَاصِ وَٱلثِّقَةِ . وَقَدْ قَامَ ٱلدَّلِيلُ ، عَلَى أَنَّ مِثْلَ ٱلْاسْتَاذِ ٱلْمُرْسَلِ إِلَيْهِ فِي ٱلْعَصْرِ قَلِيلٌ .

فَلَيْسَ لَهُ — فِي زَمَنِهِ — أَحَدٌ مِنَ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلْأَكْفَاءِ ، هَيْهَاتَ ! عُدِمَ ٱلْمُشْبِهُونَ وَٱلنُّظَرَاءُ .

وَلَوْ جَادَتْ ٱلْعُصُورُ ٱلْخَالِيَةُ ، وَٱلْأَزْمِنَةُ ٱلْمَاضِيَةُ ، بِمِثْلِ مَنْ

---

(١) والخضاب باليرنأ ، لأن لونه إما أسود أو أحمر رمز للشباب والحسن معاً ، أحم : أسود ، والسواد علامة الشباب ، وهو من لوازم الحسن .

تَوَلَّى مِنْ بُدُورِهَا ٱلسَّنِيَّةِ ، وَذَوَى مِنْ ثِمَارِهَا ٱلْجَنِيَّةِ .

وَسَمَحَتْ بِعَوْدِ غُصُونِهَا ٱلرَّطَابِ ، مِنْ أُولٰئِكَ ٱلرُّوَّسَاءِ وَٱلْكُتَّابُ ، أَعْيَانِ ٱللُّغَةِ وَحُمَاةِ آدَابِهَا ، وَأَعْلَامِ ٱلْفَصَاحَةِ وَأَقْطَابِهَا ، لَكَانَ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلتَّعَرُّضِ لِهٰذَا ٱلْعَظِيمِ بِٱلْخِطَابِ مِنَ ٱلْأَكْفَاءِ ، وَإِزْجَاءِ ٱلتَّهْنِئَةِ لَهُ مِنَ ٱلنُّظَرَاءِ :

صَاعِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، ذُو ٱلْمَجْدِ ٱلْقَدِيمِ ٱلْأَثْلَدِ .

وَصَاحِبُ ٱلْكُتُبِ : سَهْلُ بْنُ هَارُونَ ، وَرُوَّسَاءُ لَا يُهَارُونَ أَيْ لَا يُعَابُونَ وَلَا يُتَّهَمُونَ ، وَلَا تَرْقَى إِلَيْهِمُ ٱلشُّبُهَاتُ وَٱلظُّنُونُ ، وَلَا يُرْمَوْنَ بِالذَّمِّ وَلَا يُتَنَقَّصُونَ .

وَإِنَّمَا خَصَّ شَاعِرُنَا « صاعدا » بالتنويه « وسهلا » إذ كانا لِلتَّكْرِمَةِ أَهْلاً . وَكَانَ كِلَاهُمَا قَبْلَ ٱلْاِسْلَامِ عَلَى دِينِ ٱلْمَسِيحِ ، يَنْظُرَانِ نَظَرَ سِيَاسَةٍ وَتَدْبِيرٍ فِي مُلْكٍ لِلْعَرَبِ فَسِيحٍ .

وَمِثْلُهُمَا فِي هٰذَا ٱلشَّأْنِ ، « عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ » ٱلَّذِي كَانَ مُشِيراً لِلنُّعْمَانِ ، فِيمَا غَبَرَ مِنَ ٱلزَّمَانِ .

- ٣ -

وعِنْدَ شَاعِرِنَا أَنَّ مِنَ ٱلْمَمْنُوعِ ٱلْمَحْظُورِ ، أَنْ تَجِيءَ ٱلتَّهْنِئَةُ مِنْ غَيْرِ ٱلْكُفْءِ وَٱلنَّظِيرِ ،

وَقَدِ ٱخْتَارَ لِتَأْبِيدِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَٱلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ ، مَثَلاً قَصَصِيًّا رَائِعاً ، وَرَمْزاً خَيَالِياً بَارِعاً .

وَيَرْوِي لَنَا حَدِيثَ أَسَدٍ ظَفِرَ بِفَرَسِ مَلِكٍ ، لَا تَسْمُو لِرُكُوبِهِ نَفْسُ مُتَصَعْلِكٍ .

ثُمَّ حَمَلَ ٱلْأَسَدُ مَا ظَفِرَ بِهِ مِنْ فَرِيسَتِهِ ، إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ عَرِّيسَتِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ مِقْدَارَ كِفَايَتِهِ .

وَٱجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ صُنُوفُ ٱلْوَحْشِ مُهَنِّئَاتٍ ، مُكَبَّاتٍ عَلَيْهِ مُنْعَطِفَاتٍ .

وَقَدِ ٱنْعَقَدَتْ — مِنَ ٱلذُّعْرِ — أَلْسِنَتُهُنَّ ، وَأَشْرَفَتْ كَوَاهِلُهُنَّ — مِنَ ٱلْخَوْفِ — عَلَى صُدُورِهِنَّ .

وَكَادَتْ تَنْخَلِعُ — مِنَ ٱلرَّهْبَةِ — قُلُوبُهُنَّ ، فَقَائِلٌ لَا يَعْدُو ٱلْإِيجَازَ ، وَصَامِتٌ لَا يَخْرُجُ عَنِ ٱلْإِشَارَةِ وَٱلْمَجَازِ . يُرْهِفُ ٱلْمُنْصِتُ إِلَيْهِنَّ أُذُنَيْهِ فَلَا يُدْرِكُ لَهُنَّ حِسًّا ، خَشَعَتْ ٱلْأَصْوَاتُ

مِنْهُنَّ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً .

فَلَمَّا طَالَ سُكُوتُ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْقَوْلِ لِقَائِلٍ طَمَاعَةٌ .

إِذَا بِنَاطِقٍ جَرِيءٍ ، مُمْتَهِنٍ قَمِيءٍ .

وَٱسْتَشْرَفَهُ ٱلْجَمْعُ فَإِذَا هُوَ فَأْرٌ صَغِيرٌ ، خَسِيسُ ٱلْقَدْرِ حَقِيرٌ .

لَهُ بِالْأَجَمَةِ وِجَارٌ ، كَانَ ٱلْأَسَدُ لَهُ نِعْمَ ٱلْجَارُ ، وَقَدْ نَعِمَ قَدِيماً ذٰلِكَ ٱلْفَأْرُ — مِنْ مَوْلَاهُ — بِحُسْنِ ٱلْجِوَارِ ،

فَكَانَ ٱلْأَسَدُ يَقِيهِ ٱلْأَذَى وَٱلضُّرَّ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ ٱلْمَصَائِبَ وَٱلشَّرَّ ،

وَيَحْمِيهِ مِنْ أَنْ تُدْرِكَهُ شَعُوبُ ، عَلَى يَدِ خَيْطَلٍ وَسُرْعُوبٍ .

وَٱلشَّعُوبُ : ٱلْمَنِيَّةُ ، وَٱلْمِيتَةُ ٱلسَّرِيعَةُ ٱلْوَحِيَّةُ ،

وَٱلْخَيْطَلُ : ٱلسِّنَّوْرُ ، يَقْتُلُهُ إِذَا رَآهُ عَلَى ٱلْفَوْرِ ،

وَٱلسُّرْعُوبُ : ٱبْنُ عِرْسٍ ، وَفِي ٱسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُقَيِّدَهُ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ وَٱلْحِسِّ ، وَيَسْلُبَهُ أَعَزَّ مَا لَدَيْهِ وَهُوَ ٱلنَّفْسُ ، وَكِلَاهُمَا

قَادِرٌ عَلَى ٱلْفَتْكِ بِهِ وَٱلْفَرْسِ .

وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ ٱلْفَأْرُ حِينَ تَكَلَّمَ ، بِحَضْرَةِ ٱلضَّيْغَمِ :

« بُورِكَ لِلْمَلِكِ فِي ٱلْعَطِيَّةِ ٱلسَّنِيَّةِ : وَمَا بَلَغَ مِنَ ٱلْأُمْنِيَّةِ » .

فَنَظَرَ ٱلْأَسَدُ إِلَيْهِ نَظَرَ مَغِيظٍ مُغْضَبٍ ، وَكَأَنَّهُ مِنَ ٱلْحَنَقِ وَٱلْغَيْظِ عَلَى مَحْضَبٍ ، (وَٱلْمَحْضَبُ ٱلْمِسْعَرُ وَٱلْمِقْلَى ، يُنْضَحُ ٱللَّحْمُ عَلَيْهَا وَيُقْلَى) ،

* * *

فَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ ٱلْغَضَبَ نَمِرٌ ، أَوْ سِرْحَانٌ (ذِئْب) وَأَيْقَنَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ لَمْ يَرْضَ بِهٰذَا ٱلْهَذَيَانِ ،

فَأَوْحَى « عَلَى ٱلْفَوْرِ » إِلَى هِرٍّ ، أَنْ يُنْزِلَ بِالْفَأْرِ ٱلنَّاطِقِ مَا سَمَحَ بِهِ طَبْعُهُ مِنَ ٱلْأَذِيَّةِ وَٱلشَّرِّ ،

* * *

فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ وَتَمَكَّنَ ، جَعَلَ ٱلْفَأْرُ يَصِيحُ فِي مَخَالِبِ ٱلضَّيْوَنِ (ٱلْقِطِّ) ،

يَقُولُ : « مَا ذَنْبِي أُوكَلُ فِي جِوَارِ ٱلْجَبَّارِ أُسَامَةَ » ؟

وَأَخَذَ بَعْضُ ٱلْأَجْنَادِ يُوسِعُهُ تَقْرِيعاً وَمَلَامَةً ،

وَيَعُدُّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّفَهِ وَٱلْجَهْلِ ، إِذْ أَهَّلَ نَفْسَهُ لِخِطَابِ ٱلْمَلِكِ وَلَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ .

* * *

ثُمَّ ضَرَبَ شَاعِرُنَا ٱلْفَحْلَ ، مَثَلاً آخَرَ لِهٰذَا بِعَظِيمٍ مِنْ جَوَارِحِ ٱلطَّيْرِ ، يَغْدُو فِي ٱلصَّبَاحِ ثُمَّ يَرْجِعُ — لِفَرْخِهِ — بِطَعَامٍ وَمَيْرٍ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ جَاءَ مَرَّةً وَمَعَهُ إِحْدَى ٱلْفُورِ ، فَصَمَتَتْ لِهَيْبَتِهِ ذَوَاتُ ٱلْأَجْنِحَةِ غَيْرَ ٱلْعُصْفُورِ ،

وَٱلْفُورُ هِيَ : ٱلظِّبَاءُ ، يَصِيدُ ٱلسَّانِحَ مِنْهَا وَٱلْبَارِحَ ، عُقَابُ ٱلْجَوِّ أَوْ عَظِيمٌ مِنَ ٱلطَّيْرِ جَارِحٌ ،

فَخَاطَبَهُ ٱلْعُصْفُورُ خِطَابَ ٱلصُّعْلُوكِ ، لِأَحَدِ ٱلْأَقْيَالِ وَٱلْمُلُوكِ ،

وَبَدَأَ خِطَابَهُ بِالدُّعَاءِ ، مُتَضَمِّناً آيَاتِ ٱلْمَدْحِ وَٱلثَّنَاءِ .

وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ :

« قَرَّتْ عَيْنُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مِنْ قَيْلٍ ، (زَعِيمٍ) ، لَمْ يَقْنَعْ لِنَاهِضِهِ (ٱلَّذِي لَمْ يَكْمُلْ نَبَاتُ رِيشِهِ) بِقَلِيلِ ٱلْعَطَاءِ وَخَسِيسِ ٱلنَّيْلِ .

* * *

فَقَاطَعَهُ ٱلْجَارِحُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ ، وَعَمَدَ إِلَى تَجْرِيحِهِ وَإِيلَامِهِ .

وَصَاحَ :

« مَنْ هُوَ حَتَّى يَقُومَ حِيَالِي فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا حَيَاء ، وَيُشَقْشِقَ بِأَلْفَاظِ ٱلْمَدْحِ وَٱلْإِطْرَاءِ . ظَنَّ ٱلْجَاهِلُ ٱلْمُعْجَبُ بِشَقْشَقَتِهِ ، أَنَّهُ خَطِيبٌ قَامَ بِحَضْرَتِي يَهْدِرُ بِشِقْشِقَتِهِ [1] ،

مَنْ هُوَ حَتَّى يَتَكَلَّمَ لَدَيَّ ،

كَأَنَّهُ أَمِنَ مِنْ بَطْشِي وَرَدَيَّ [2] ،

* * *

ثُمَّ أَشَارَ ٱلنَّسْرُ إِلَى بَازٍ مِنْهُ قَرِيبٍ، أَنْ يَبْدَأَهُ — قَبْلَ ٱلْعُقُوبَةِ —

---

(١) الشقشقة ـ بالكسر ـ ما يخرجه البعير من فيه أحمر كالرئة إذا هاج ، والخطبة الشقشقية العلوية من خطب علي — كرم الله وجهه — وهي خطبة بديعة مشتملة على حكم وأنواع بلاغة . قيل لها ذلك لأنه لما قال له ابن عباس :

« لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت : »

قال له : يا ابن عباس : هيهات ، تلك شقشقة هدرت ، ثم قرت » .

(٢) أي : رَدايَ .

بِالْمُؤَاخَذَةِ وَالتَّثْرِيبِ ،

ثُمَّ يَأْخُذُهُ بِالْعِقَابِ ، عَلَى هٰذَا الْخِطَابِ .

فَحَقَّرَ الْبَازِي شَأْنَ الْعُصْفُورِ ، وَرَأَى أَنَّهُ بِالِاخْتِطَافِ غَيْرُ جَدِيرٍ ،

فَأَوْمَأَ إِلَى بَاشِقٍ أَنْ يُعَجِّلَ بِإِتْلَافِهِ ، وَيُسْرِعَ إِلَى اخْتِطَافِهِ .

فَاخْتَطَفَهُ مُخْتَاراً مُعْتَاماً ، وَتَرَكَ أَفْرَاخَهُ يَتَامَى .

* * *

وَلَا نَنْسَى أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ فِي فَاتِحَةِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ طَامِنٌ مِنْ قَدْرِهِ ، وَأَنْكَرَ نَفْسَهُ — كَمَا أَسْلَفْنَا الْقَوْلَ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ — وَوَضَعَهَا فِي مَنْزِلَةٍ لَا يَسْتَأْهِلُ مَعَهَا أَنْ يُخَاطِبَ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِ ، وَيَعْرِضَ تَهْنِئَتَهُ عَلَيْهِ ،

وَضَرَبَ لِمَنْزِلَتِهِ الْوَضِيعَةِ ، مَعَ مَنْزِلَةِ مُخَاطَبِهِ السَّامِيَةِ الرَّفِيعَةِ ، مَثَلَيْنِ :

مَثَلَ الْفَأْرِ مَعَ الْأَسَدِ ، وَمَثَلَ الْعُصْفُورِ مَعَ جَارِحٍ مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ عَظِيمٍ ،

وَصَوَّرَ بُعْدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْزِلَتَيْنِ ، بِهَاتَيْنِ ٱلصُّورَتَيْنِ ٱلْمُتَقَابِلَتَيْنِ ،

وَبَعْدَ أَنْ أَحْكَمَ تَصْوِيرَهُمَا ، وَأَبْدَعَ تَحْبِيرَهُمَا ، وَظَفِرَ بِمَوْفُورِ ٱلتَّوْفِيقِ فِي عَرْضِهِمَا ، عَرْضاً حَسَناً بَدِيعاً ،

أَرَادَ أَنْ يُنْكِرَ مَعَ إِنْكَارِ ذَاتِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَقْرَانٌ ، يُدَانُونَ تَمْدُوحَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ ٱلسَّنِيَّةِ ، وَيُشَارِكُونَهُ فِي مَنْزِلَتِهِ ٱلْعَلِيَّةِ ،

فَقَالَ : وَأَمَّا أَقْرَانِي فَحَمَلَةُ عِصِيٍّ ، يَجْلِسُونَ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلْقَصِيِّ ،

يَسْتَعِينُونَ بِتِلْكَ ٱلْعِصِيِّ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ وَٱلْمَشْيِ ، وَيَحْمِلُونَهَا عِنْدَ ٱلِٱبْتِغَاءِ وَٱلسَّعْيِ ، وَيَجْلِسُ ٱلْعَجَزَةُ مِنْهُمْ وَٱلضُّعَفَاءُ ، حَيْثُ لَا يَجْلِسُ ٱلْأَسْرِيَاءُ وَٱلشُّرَفَاءُ ، وَلَيْسَ ٱلْخَامِلُ ٱلْقَصِيُّ ، كَالنَّابِهِ ٱلسَّرِيِّ ،

وَشَتَّانَ بَيْنَ ٱلنَّكِرَاتِ ، مِنْ حَمَلَةِ ٱلْعُكَّازَاتِ ، وَبَيْنَ ٱلسَّرَوَاتِ ، مِنْ حَمَلَةِ ٱلشَّارَاتِ ، وَأَهْلِ ٱلرِّيَاسَاتِ وَٱلْمَشُورَاتِ ،

فَإِنْ أَخْطَأْتُ مِنْ هٰذَا ٱلصِّنْفِ مِنَ ٱلنَّاسِ قِرْنِي ، وَفَقَدْتُ

بَيْنَهُمْ صَاحِبِي وَخِدْنِي ،

فَقِرْنِي بَعْـــدَ فَقْدِهِمْ ضُلُّ بْنُ ضُلٍّ ، أَوْ هَيُّ بْنُ بَيٍّ[1] ،

وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ ضُلُّ بْنُ ضُلٍّ إِذَا كَانَ لَا يُوقَفُ لَهُ عَلَى أَثَرٍ ، وَلَا يُعْرَفُ إِنْ كَانَ مِنَ الْبَشَرِ أَوْ غَيْرِ الْبَشَرِ ،

وَمِثْلُهُ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَفْقُودِ ، وَالتَّمْثِيلِ لِغَـــيْرِ الْمَوْجُودِ ، هَيُّ بْنُ بَيٍّ ، فَكِلَاهُمَا لَيْسَ بِشَيٍّ ،

* * *

وَإِلَى هُنَا يَنْتَهِي أَبُو الْعَلَاءِ مِنْ وَصْفِ أَقْرَانِهِ ، وَحَدِيثِ إِخْوَانِهِ ،

ثُمَّ أَتَى بِمِثَالَيْنِ مِنَ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ لِأَقْرَانِ مَمْدُوحِهِ الَّذِي اخْتَصَّهُ بِرِسَالَتِهِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِتَهْنِئَتِهِ . قَالَ :

فَأَمَّا الْأُسْتَاذَانِ الْجَلِيلَانِ إِلَى آخِرِ مَا وَصَفَهُمَا بِهِ .

حَيْثُ دَعَا لَهُمَا أَوَّلًا بِأَنْ يَزِيدَ اللهُ الْأَيَّامَ بِبَقَائِهِمَا ضِيَاءً ، وَالْأَنَامَ بِوُجُودِهِمَا رِفْعَةً وَسَنَاءً ؛

---

(١) انظر الفصل السابق .

ثُمَّ وَصَفَهُمَا ثَانِياً بِأَنَّهُمَا لَا يُعْدَلُ بِهِما الْأَصْفَرَانِ ،
وَلَا يُسَاوِيهِمَا فِي الْقِيمَةِ وَالنَّفْعِ : الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ ،
وَالْأَصْفَرَانِ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا طِيباً يُشَمُّ وَيُنْشَقُ ،
وَالْآخَرُ حِلْيَةً تُقْتَنَى وَمَالاً يُنْفَقُ ،
إِلَّا أَنَّ الْأُسْتَاذَيْنِ ،
لَا يُقْصَرَانِ عَلَيْهِمَا فِي الشَّبَهِ وَالْمِثْلِيَّةِ ،
وَالْقِيمَةِ الطِّبِّيَّةِ وَالنَّفَاسَةِ الذَّهَبِيَّةِ ،
فَهُمَا أَثْمَنُ قِيمَةً وَأَغْلَى ، وَأَرْفَعُ دَرَجَةً وَأَعْلَى ،
بَلْ هُمَا فِي الْهِدَايَةِ مِثْلُ الْقَمَرَيْنِ ، وَعَهْدُهُمَا — فِي الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ — كَعَهْدِ الْعُمَرَيْنِ ،
وَإِذَا بَلَغَا مَبْلَغَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي الْهِدَايَةِ ، فَتِلْكَ غَايَةٌ لَيْسَ وَرَاءَهَا غَايَة ،
وَإِذَا كَانَ أَوَانُهُمَا كَأَوَانِ « عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » وَ « عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ » فِي الْعَدْلِ ، فَكَيْفَ يُدَانِيهِمَا شَبِيهٌ فِي الْفَضْلِ ، أَوْ يُحَاكِيهِمَا مَثِيلٌ فِي النُّبْلِ ؟
إِذَا ذُكِرَ فِي الْحَسَبِ رَوْقَا فَزَارَةَ ، أَيْقَنْتَ أَنَّهُمَا رَيِّقَا نَبَاعٍ

يُذْكَرُ عَنِ ٱلْوِزَارَةِ ،

وَرَوْقَا فَزَارَةَ هُمَا : عَمْرُ بْنُ جَابِرٍ ، وَبَدْرُ بْنُ عَمْرٍو ، وَيُقَالُ لِلسَّيِّدِ : رَوْقٌ ، وَٱلرَّيْقُ وَٱلرَّيِّقُ : أَوَّلُ ٱلشَّبَابِ ، وَٱلْمُرَادُ مَا يَرُوعُ ٱلْخَاطِرَ وَيَحْسُنُ فِي ٱلسَّمْعِ مِنْ أَنْبَائِهِمَا ، وَكَمْ أَحْرَزَا قَصَبَ ٱلسَّبْقِ ، فِي مَيْدَانِ ٱلْعَدَالَةِ وَٱلْحَقِّ ،

وَجَاءَا فِي ٱلْحَلْبَةِ مُجَلِّيَيْنِ ، وَكَمْ كَانَا فِي ٱلْقُدْوَةِ لِلسَّادَةِ ٱلْقَادَةِ إِمَامَيْنِ ،

وَفِي ٱلْهِدَايَةِ لِلسَّارِينَ فَرْقَدَيْ لَيْلٍ ، وَلَا يَصِفُهُمَا ٱلْوَاصِفُ بِسَابِقَيْ خَيْلٍ ،

لِسَبَقِهِمَا فِي مَجَالِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْأَرْيَحِيَّةِ ، لَا فِي مَيْدَانِ ٱلرِّهَانِ وَٱلْفُرُوسِيَّةِ ،

إِذَا أَطْرَاهُمَا مَادِحٌ بِقَوْلِهِ : « هُمَا ٱلْحُرَّانِ » فَلَا يَعْنِي بِٱلْحُرَّيْنِ نَقِيضَيْ عَبْدَيْنِ ،

وَلَا ٱلْحُرَّيْنِ ٱلَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا ٱلْأَخْطَلُ بِسُكْرِ بَرْدَيْنِ . فَقَالَ :

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ أَهْلِ « رَضْوَى » فَـ « نَبْتَلُ »

فَـ « مُجْتَمَعُ ٱلْحُرَّيْنِ » . فَالصَّبْرُ أَجْمَلُ

وَقَصَدَ بِالبَرْدَيْنِ، الْغَدَاةَ وَالْعَشِيَّ.

وَبِالْحَرَّيْنِ فِي قَوْلِهِ: «فَمُجْتَمَعُ الْحَرَّيْنِ»: كَثِيبَيْ رَمْلٍ، ثُمَّ دَعَا لَهُمَا بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ.

* * *

ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ غَرَضُ الْمُقَرِّظِ — أَيِ الْمَادِحِ — بِالْحَرَّيْنِ: حُرَّيْ مَعَدٍّ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا «ابْنُ مَعْدِ يَكْرِب» فِي قَوْلِهِ:

«مَا لَمْ يَلْقَنِي حُرَّاهَا وَعَبْدَاهَا».

يَعْنِي بِالْحَرَّيْنِ «عُتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ الْيَرْبُوعِيَّ»، «وَعَامِرَ بْنَ مَالِكٍ الْكِلَابِيَّ».

وَبِالْعَبْدَيْنِ: السُّلَيْكَ بْنَ السُّلَكَةِ، وَعَنْتَرَةَ.

وَلَيْسَ مُعْتَمَدَ مَنْ أَثْنَى[1] وَمَدَحَ: الْحَرَّانِ اللَّذَانِ هُمَا: «حُرٌّ» وَ«أَبَيٌّ» بِتَغْلِيبِ حُرٍّ فِي التَّثْنِيَةِ عَلَى «أُبَيٍّ» — لِخِفَّةِ الْأَوَّلِ وَثِقَلِ الثَّانِي.

---

(١) أي: وليس الحران معتمد من أثنى على الأستاذين ولا هو مقصد من مدحهما.

لَمْ يَقْصِدِ ٱلْمَادِحُ أَنْ يُشَبِّهَهُمَا بِشَيْءٍ مِمَّا تَقَدَّمَ ؛ وَإِنَّمَا قَصَدَ أَنْ يُشَبِّهَهُمَا بِٱلْحُرَّيْنِ ٱللَّذَيْنِ هُمَا كَوْكَبَانِ .

يَرَى ٱلْمُدْلِجُ أَنَّ ٱلْفَرْقَ بَيْنَهُمَا دَانٍ ، قَالَ :

« وَلَمَّا بَدَا ٱلْحُرَّانِ ، وَٱللَّيْلُ دَامِسٌ

ذَكَرْتُ خَلِيطاً نَازِلاً بِأَبَانِ »

ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْأُسْتَاذَيْنِ وَإِطْرَائِهِمَا ، وَتَقْرِيظِهِمَا وَمَدْحِهِمَا .

وَدَعَا لَهُمَا أَنْ يَرْعَى ٱللهُ ذَاتَهُمَا بِٱلْحِرَاسَةِ وَٱلْحِفْظِ ، وَأَنْ يُبْقِيَا مَا بَقِيَ ٱلدَّهْرُ ، رَبِيعَيْ ثَمَرٍ وَزَهْرٍ .

إِذْ كَانَتْ أَيَّامُهُمَا فِي ٱلْخِصْبِ وَٱلْجَمَالِ كَأَيَّامِ ٱلرَّبِيعِ ، مَصْدَرَ بَهْجَةٍ وَحَيَاةٍ لِلْجَمِيعِ .

وَمَا عَنَى — بِشَهْرَيْ رَبِيعٍ — رَبِيعَيِ ٱلشُّهُورِ ٱلْمَعْرُوفَيْنِ بِهِلَالِهِمَا ، بَلْ رَبِيعَيِ ٱلْأَزْمِنَةِ ٱلْمَشْهُورَيْنِ بِخِصْبِهِمَا وَجَمَالِهِمَا .

وَهُمَا رَبِيعَانِ يَجِيئَانِ ٱلْأَنَامَ فِي كُلِّ عَامٍ ، بِضُرُوبِ ٱلْحُسْنِ وَصُنُوفِ ٱلْإِنْعَامِ .

فِي أَوَّلِهِمَا يُدْرِكُ ٱلثَّمَرُ ، وَيُجْنِي ٱلشَّجَرُ ، وَفِي ثَانِيهِمَا يُنِيرُ

ٱلنَّوْرُ وَيُسْنِي ٱلزَّهرُ ، لِذٰلِكَ نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ مَا عَنَى شَهْرَيْنِ يَقَعَانِ بَعْدَ صَفَرٍ ، بَلْ أَرَادَ نَيْسَانَ وَأَخَاهُ ، وَهٰذَا مَا قَصَدَهُ وَعَنَاهُ ،

* * *

ثُمَّ شَفَعَ ٱلدُّعَاءَ ٱلْأَوَّلَ بِدُعَاءٍ ثَانٍ طَلَبَ فِيهِ لَهُمَا مِنَ ٱللهِ أَلَّا يَبْرَحَا لِسَاكِنِي ٱلدِّيَارِ أَنْفَعَ مِنَ ٱلْحَنْتَفَيْنِ ، وَأَنْ يَعْلُوَا عَلَى كُلِّ كَذِبٍ وَمَيْنٍ ، وَيَشْرُفَا شَرَفاً لَا يَمِينُ فِيهِ كَاسِبُهُ ، وَلَا يَكْذِبُ صَاحِبُهُ ،

وَلَا يَنْبَنِي عَلَى ٱلرَّهَقِ وَٱلْأَبْسِ ، كَمَا كَانَ شَرَفُ ٱلزَّهْدَمَيْنِ [1] فِي بَنِي عَبْسٍ ،

بَلْ يَنْبَنِي عَلَى نَفْعِ ٱلْعِبَادِ ، وَعِزِّ ٱلْبِلَادِ ،

وَٱلْحَنْتَفَانِ تَثْنِيَةٌ غَلَبَ فِيهَا أَحَدُ ٱلِٱسْمَيْنِ عَلَى ٱلْآخَرِ ، وَٱلْمُرَادُ بِهِمَا : « ٱلْحَنْتَفُ » وَ « أَوْسٌ » ٱبْنَا « سَيْفِ بْنِ حِمْيَرِيٍّ بْنِ تَمِيمٍ » ، وَكَذٰلِكَ ٱلزَّهْدَمَانِ تَثْنِيَةٌ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلتَّغْلِيبِ ، وَٱلْمُرَادُ « زَهْدَمٌ » وَ « قَيْسٌ » أَوْ « زَهْدَمٌ » « وَكَرْدَمٌ » وَهُمَا

---

(١) أنظر الفصل السابق .

مِنْ بَنِي عَبْسٍ ، وَلَا يَبْعُـــدُ أَنْ يَكُونَا قَدْ بَنَيَا شَرَفَهُمَا عَلَى ٱلرَّهَقِ وَٱلْأَبْسِ ،

وَٱلرَّهَقُ ٱلظُّـــلْمُ وَٱرْتِكَابُ ٱلشُّرُورِ ، وَٱلْأَبْسُ ٱلتَّصْغِيرُ وَٱلتَّحْقِيرُ .

* * *

ثُمَّ شَرَعَ فِي مَـــدْحِ ٱلْأُسْتَاذِ أَبِي فُلَانٍ ، وَدَعَا لَهُ أَلَّا يَبْرَحَ سِوَاراً فِي يَدِ ٱلْمَمْلَكَةِ ، وَقِلَادَةً يَتَحَلَّى بِهَا صَدْرُ ٱلدَّوْلَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ فِي مَكَانٍ مِنْ سُمُوِّ ٱلدَّرَجَةِ ، وَعُلُوِّ ٱلْمَنْزِلَةِ يُجَاوِرُ فِيـــهِ ٱلْأَفْلَاكَ ٱلْقَائِمَةَ ، وَٱلنُّجُومَ ٱلسَّابِحَةَ ،

وَأَخْبَرَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْهِجْرَةَ أَفْضَلُ مِنْ مُهَاجَرَةِ أَخِي كِنْدَةَ [1] لِأَنَّ هٰذَا ٱلْأَخِيرَ سَلَكَ تِلْكَ ٱلْمَسَالِكَ إِثَارَةً لِلْحَرْبِ وَسَعْياً فِي ٱلْفَسَادِ . وَأَمَّا ٱلْأُسْتَاذُ فَمُهَاجَرَتُهُ لِتَأْمِينِ ٱلسَّارِينَ مِنْ غَائِلَةِ ٱلْآسَادِ ، وَبِمَا أَسْلَفَهُ مِنْ سَهَرٍ عَلَى حَيَاةِ ٱلْمُسَافِرِينَ ، وَتَأْمِـــينَ لَيْلِ ٱلسَّارِينَ ، سَوْفَ يَتَبَيَّنُ ٱلْعَافِيَةَ ،

---

(١) كندة أبو قبيلة من العرب ، أوحي من اليمن .

وَيَظْفَرُ بِحُسْنِ ٱلْعَاقِبَةِ ،

فَالسَّعِيدُ مَنْ عَافَاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْبَلَاءِ ، وَوَهَبَهُ ٱلسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، فِي ٱلدَّارِ ٱلْعَاجِلَةِ ، قَبْلَ ٱلدَّارِ ٱلْآجِلَةِ ،

وَٱلْمُوَفَّقُ لِلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ مَنْ أَمَّنَ سَالِكاً ، وَأَنْقَذَ مِنْ بَرَاثِنِ ٱلْمَوْتِ هَالِكاً ، وَخَلَّصَ أَسِيراً ، وَجَبَرَ كَسِيراً ، وَمَنْ أَحْيَا نَفْساً فَكَأَنَّمَا صَنَعَ صَنِيعاً ، بَعَثَ أَبْنَاءَ ٱلرَّاكِدَةِ جَمِيعاً . وَٱلرَّاكِدَةُ ٱلْأَرْضُ ٱلسَّاكِنَةُ ٱلْهَامِدَةُ ٱلَّتِي رَكَدَتْ كَرُكُودِ ٱلرِّيحِ أَوِ ٱلْمَاءِ بِرُكُودِ سَاكِنِيهَا ، وَمَوْتِ مَنْ فِيهَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّ عِمَارَتَهَا بِٱلْحَيَاةِ ، يُوجِبُ ٱلزُّلْفَى عِنْدَ ٱللهِ : وَيُضَاعِفُ ٱلْحَسَنَاتِ ، وَيُذْهِبُ ٱلسَّيِّئَاتِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً » .

وَأَيُّ جَزَاءٍ يُسَاوِي هٰذَا ٱلْجَزَاءَ أَوْ يُدَانِيهِ ، وَأَيُّ ثَوَابٍ يَعْدِلُ ثَوَابَ مَنْ أَعْطَاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ نَفْسٍ أَحْيَاهَا ، وَبِمِقْدَارِ كُلِّ رُوحٍ أَنْقَذَهَا وَٱسْتَبْقَاهَا .

وَإِنَّ ٱلْاسْتَاذَ بِهٰذِهِ ٱلْأَعْمَالِ ٱلصَّالِحَةِ ، وَٱلْمَسَاعِي ٱلْمُوَفَّقَةِ

ٱلنَّاجِحَةِ ، ٱلَّتِي أَعَدَّ ٱللهُ لَهُ فِيهَا — مِنَ ٱلثَّوَابِ — مَا أَعَدَّهُ لِلصِّدِّيقِينَ ، مِنْ عِبَادِهِ ٱلصَّالِحِينَ ، حَقِيقٌ بِمَا أَكْرَمَ ٱللهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ ، وَمَنَحَهُ أَصْفِيَاءَهُ ، مِنْ بَالِغِ ٱلْكَرَامَاتِ ، وَخَارِقِ ٱلْعَادَاتِ .

وَلَوْ جَازَ أَنْ تَنْشَقَّ ٱلطَّامِيَةُ — مِنَ ٱلْبِحَارِ — لِغَيْرِ « مُوسَى ٱلْكَلِيمِ » ، لَانْفَرَقَ لَهُ لُجُّهَا وَٱنْفَصَلَ مُعْظَمُ مَائِهَا غَيْرَ مُلِيمٍ[1] ، وَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ، وَلَانْحَسَرَ ٱلْبَحْرُ عَنْ قِيعَانِهِ ، وَأَبَانَ عَنْ حِيتَانِهِ .

« وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ[2] وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ » .

وَلَقَالَتِ ٱلْحِيتَانُ ٱلْمُتَفَكِّنَةُ ٱلْمُتَأَسِّفَةُ ، ٱلْمُتَعَجِّبَةُ ، ٱلْمُتَلَهِّفَةُ ، لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ، وَٱنْحَسَرَ عَنِ ٱلْبَحْرِ مَاؤُهُ ٱلْغَمْرُ : مَا حَدَثَ نُضُوبُ ٱلْمَاءِ ، إِلَّا لِأَمْرٍ نَزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ، فَمَنْ هٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلصَّالِحُ

---

(١) أي غير آت ما يستحق عليه اللوم .

(٢) الجودي : جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة « نوح » .

ٱلْمُسْتَدِيمُ عَلَى عَمَلِ ٱلْخَيْرِ مَعَ تَعَاقُبِ ٱلْعَصْرَيْنِ [1] ، ٱلدَّائِبُ فِي صَلَاحِ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ ، فَتَوَلَّى ٱللهُ عَنِ ٱلنَّاسِ جَزَاءَهُ ، وَحَفِظَ لَهُ فِي ٱلدَّارَيْنِ وَفَاءَهُ .

* * *

وَكَمَا لَا يَمْتَنِعُ فِي ٱلْقُدْرَةِ نَقْصُ ٱلْمَاءِ وَنُضُوبُهُ ، أَوْ رُكُودُ ٱلرِّيحِ وَهُبُوبُهُ ، لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَعْذُبَ بِبَرَكَةِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ ٱلصَّالِحِ ٱلْمَاءُ ٱلْأُجَاجُ [2] ، فَيَعُودُ كَأَنَّهُ مِنَ ٱلنَّحْلِ مُجَاجٌ [3] ، أَوْ تَسِيرَ ٱلسَّفِينَةُ عَلَى ٱلْيَبَسِ ، أَوْ تَطِيرَ — فِي ٱلْهَوَاءِ كَأَنَّهَا شُعْلَةٌ مِنْ قَبَسٍ ، فِي يَدِ قَابِسٍ مُتَعَجِّلٍ ، يَعْدُو وَشِيكاً بِلَهَبٍ مُشْتَعِلٍ ، وَلَيْسَ هٰذَا بِٱلْمَطْلَبِ ٱلْمُحَالِ ، ٱلْبَعِيدِ ٱلْمَنَالِ ، وَمَا هُوَ بِخَادِعٍ مِنْ كَاذِبِ ٱلْآمَالِ .

فَقَدْ يُصْبِحُ — بِإِذْنِ ٱللهِ — حَقِيقَةً تَرَاهَا ٱلْعَيْنُ ، لَا كَذِبٌ فِيهَا وَلَا مَيْنٌ .

* * *

---

(١) أي الغداة والعشي أو نصف النهار الأول ونصفه الثاني .

(٢) الأجاج : الملح المر .

(٣) المُجاج : العسل .

وَيَجُوزُ أَنْ تَحْمِلَهَا الرِّيحُ الْهَابَّةُ كَمَا حُمِلَ عَرْشُ « بِلْقِيسَ » ، إِذَا مُثِّلَ خَبْرٌ أَوْ قِيس .

أَيْ إِذَا مُثِّلَتِ السَّفِينَةُ فِي قِصَّةِ « بِلْقِيسَ » بِالْعَرْشِ ، وَقِيسَ حَمْلُهَا عَلَى مَتْنِ الْهَوَاءِ — بَعْدَ نُضُوبِ الْمَاءِ — عَلَى حَمْلِهِ إِلَى سُلَيْمَانَ مِنَ الْيَمَنِ ، فِي لَمْحَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ عِنْدَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِهِ ، وَيَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانِهِ .

وَلَا يَمْتَنِعُ أَيْضاً مَعَ نُضُوبِ الْمَاءِ ، وَجَرْيِ السَّفِينَةِ عَلَى الْيَبَسِ أَوْ طَيَرَانِهَا فِي الْهَوَاءِ ، أَنْ تَظَلَّ سَوَاكِنُ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ — بِيُمْنِ الْأُسْتَاذِ وَبَرَكَتِهِ — رَاتِعَاتٍ ، وَبِالسَّلَامَةِ مِنَ الشَّجَبِ (الْهَلَاكِ) مُتَمَتِّعَاتٍ ، حَيْثُ تَبْقَى — وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعِيشُ فِي غَيْرِ الْمَاءِ — مُتَمَتِّعَةً بِالْحَيَاةِ مَعَ تَعَرُّضِهَا لِحَرِّ الْهَوَاءِ ، كَأَنَّهَا بَعْضُ سَوَاكِنِ الصَّحْرَاءِ ، تَجُولُ فِي مِثْلِ السَّهْبِ الْأَرْحَبِ ، كَخَيْطِ النَّعَامِ الْمُخَوِّدَةِ وَالرَّبْرَبِ ، وَالسَّهْبُ بِالْفَتْحِ الْفَلَاةُ ، وَخَيْطُ النَّعَامِ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّعَامِ ، وَالْمُخَوِّدَةُ : الْمُسْرِعَةُ فِي السَّيْرِ ، وَالرَّبْرَبُ : الْقَطِيعُ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ .

* * *

حتى إذا قضى لبانته (إربته ورغبته) من هذه الهجرة، وآنس النجح واستبانه من هذه السفرة،

وتمت — على يديه — تلك المعجزات، وتحققت — بيمن طالعه — هذه المستحيلات، عاد الماء إلى مستقره، ورجع كل شيء إلى مقره، وحل الرجاء محل اليأس، فاستقامت طبائع الناس، وعزفوا عن الأكاذيب والترهات، وتجنبوا طريق الإفك والشبهات.

* * *

ثم تمنى أن يقدم الأستاذ من حضرة الملك ذي التاج، بمثل ألوان الرياض من هدايا الحرير والديباج، وبما لا يحصى من الفضة واللجين، ليتحف الناس بالأكسية والنقدين، في العامين الأشهبين، ويفض الفضة في الأولياء، ويفرق المال لإنعاش الفقراء، وإسعاد الأشقياء:

والأشهبان هما العامان اللذان ليس بين طرفيها خضرة، الجالبان على الناس لبياضهما الضيق والعسرة.

* * *

وَطَلَبَ أَنْ يَبْتَهِلَ الدَّرْبُ الضَّيِّقُ إِلَى اللهِ فِي أَنْ يُحَوِّلَ ضِيقَهُ إِلَى اتِّسَاعٍ ، لِقَاءَ مَا لِلْأُسْتَاذِ الْقَادِمِ مِنْ مَآثِرَ وَمَسَاعٍ ، وَأَنْ تَكُونَ اللِّصَابُ [1] الضَّيِّقَةُ ، وَالشِّعَابُ الْحَرِجَةُ ، كَالسَّبَاسِبِ الْفِيحِ [2] غَيْرَ اللَّصِبَةِ ، حَتَّى لَا تَشْرَقَ (لَا تَغَصَّ) بِالْمَوَاكِبِ الصَّاخِبَةِ اللَّجِبَةِ ، وَأَنْ تَكُونَ الْحِجَارَةُ الصَّلْدَةُ ، وَالصُّخُورُ الصُّلْبَةُ ، فِي الرِّقَّةِ وَاللِّينِ ، كَالرِّقِّ مِنْ جِلْدِ النَّعَامِ ، وَالْأَكَمَةُ الْوَاسِعَةُ كَالْخِوَانِ : عَلَيْهِ أَلْوَانُ الطَّعَامِ ، يُصِيبُ مِمَّا عَلَيْهِ الْجَائِعُ السَّاغِبُ — وَهُوَ مُرِيحٌ بَعْدَ إِعْيَائِهِ — أَوْ ذُو إِعْيَاءٍ لَاغِبٌ ...

* * *

وَبِهٰذَا انْتَهَى الْفَصْلُ الَّذِي أَفْرَدَهُ شَاعِرُنَا لِمُجَامَلَةِ الْأُسْتَاذِ « أَبِي فُلَانٍ » وَخَصَّهُ بِبَيَانِ مَا تَرَتَّبَ عَلَى مُهَاجَرَتِهِ مِنْ أَثَرٍ حَمِيدٍ ، وَعَمَلٍ مَجِيدٍ .

---

(١) اللصاب (جمع يصْب) وهو : الشعب الصغير في الجبل . أو : هو مضيق الوادي .

(٢) السبسب : المفازة أو الأرض المستوية . والفيح : جمع أفيح ، والأفيح الواسع .

وَذَكَرَ مَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَوَّلَ — بِيُمْنِهِ وَبَرَكَتِهِ — مِنْ مُسْتَحِيلٍ مُمْتَنِعٍ ، إِلَى جَائِزٍ مُمْكِنٍ ، كَانْفِرَاقِ الْبَحْرِ ، وَمَا يَعْرِضُ لِمَائِهِ مِنْ نَقْصٍ وَنُضُوبٍ ، وَانْسِرَابِ حِيتَانِهِ وَسَوَاكِنِهِ ، وَجَرْيِهَا فِيمَا يُشْبِهُ الصَّحَارَى وَالسُّهُوبِ ،

وَعَوْدِ مِلْحِهِ وَأُجَاجِهِ ، أَحْلَى مِنْ ضَرَبِ النَّحْلِ (عَسَلِهِ) وَمُجَاجِهِ ،

وَجَرْيِ السَّفِينَةِ عَلَى الْيَبَسِ ، أَوْ سَبْحِهَا فِي مَسَابِحِ النُّجُومِ كَشُعْلَةٍ مِنْ قَبَسٍ ،

أَوْ طَيَرَانِهَا فِي الْفَضَاءِ ، مَحْمُولَةً عَلَى مَتْنِ الْهَوَاءِ ، كَمَا حُمِلَ عَرْشُ « بِلْقِيسَ » مِنَ الْيَمَنِ ، فِي اللَّمْحَةِ الْيَسِيرَةِ مِنَ الزَّمَنِ ، وَكَتَحْوِيلِ مَا فِي الرِّيَاضِ مِنْ أَشْجَارٍ مُورِقَةٍ ، وَأَزْهَارٍ مُونِقَةٍ ، وَوَرْدٍ نَضِيرٍ ، وَنَوْرٍ مُنِيرٍ ، إِلَى أَكْسِيَةٍ مِنَ الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ ، يُكْسَى بِهَا الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ ، إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ عَنْ رِحْلَةِ الشَّيْخِ الصَّالِحِ مِنْ مَهْجَرِهِ إِلَى مَقْدَمِهِ .

* * *

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى هٰذَا الْفَصْلِ الْخِتَامِيِّ الْأَخِيرِ ، وَفِيهِ عَادَ إِلَى ذِكْرِ

ٱلْاسْتَاذَيْنِ مَعاً، فَدَعا لَهُمَا أَنْ يُذِلَّ ٱللهُ مُعَانِدَهُمَا أُخْرَى ٱلْمَنُونِ [1]، مَا تَوَالَتِ ٱلْأَيَّامُ وَتَتَابَعَتِ ٱلسِّنُونُ، وَمَدَحَهُمَا بِأَنَّ ٱلسُّلْطَانَ: «شِبْلَ ٱلدَّوْلَةِ» إِذَا كَانَ أَسَدَ ٱلنُّجُومِ كَانَا ذِرَاعَيْهِ، وَإِذَا أُغْلِقَ بابُ ٱلرَّأْفَةِ فَتَحَا مِصْرَاعَيْهِ.

شَبَّهَهُمَا ــ فِي ٱلرِّفْعَةِ وَٱلنَّبَاهَةِ وَٱتِّصَالِهِمَا بِالسُّلْطَانِ ــ بِذِرَاعَيِّ ٱلْأَسَدِ، وَٱلْأَسَدُ: نَجْمٌ فِي ٱلسَّمَاءِ لَهُ مِنَ ٱلنُّجُومِ ذِرَاعَانِ. إِحْدَاهُمَا مَبْسُوطَةٌ، وَٱلْأُخْرَى مَقْبُوضَةٌ. كَمَا شَبَّهَهُمَا فِي إِثَارَةِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْحَنَانِ، فِي قَلْبِ ٱلسُّلْطَانِ، وَحَمْلِهِ عَلَى ٱلْبِرِّ بِرَعَايَاهُ، بِبَابٍ يُفْتَحُ ــ بِأَيْدِيهِمَا ــ مِصْرَاعَاهُ. ثُمَّ دَعَا لَهُمَا أَنْ يَبْقَيَا ــ لِرَفَاهَةِ ٱلرَّعِيَّةِ ــ مُنَعَّمَيْنِ، وَأَنْ يَكُونَا ــ فِي ٱلنَّبَاهَةِ ــ كَالسِّمَاكَيْنِ أَوِ ٱلْمِرْزَمَيْنِ.

وَٱلسِّمَاكَانِ: رِجْلَا ٱلْأَسَدِ، وَهُمَا نَجْمَانِ نَيِّرَانِ، وَٱلْمِرْزَمَانِ: نَجْمَانِ تَصْحَبُهُمَا ٱلشِّعْرَيَانِ،

إِذْ نَشَأَ بِهِمَا ــ لِلْعَدْلِ ــ عَارِضٌ، يَنْتَعِشُ مِنْهُ ٱلْبَارِضُ.

---

(١) يقال لا أفعله أخرى المنون، أي: أبدا.

وَٱلْعَارِضُ : ٱلسَّحَـــابُ ، وَٱلْبَارِضُ : أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ مِن ٱلنَّبَـــاتِ .

* * *

ثُمَّ قَالَ : « وَلَيْسَ بِخَـــافٍ عَنِّي أَنَّ سُكُوتِي عَنِ ٱلتَّعَرُّضِ لِلْخِطَابِ ، وَمُرَاسَلَةِ ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ ، هُوَ ٱلرِّبْحُ وَٱلْمَتْجَرُ ، وَٱلْكَاذِبُ مُسِيءٌ أَوْجَرُ » .

وَٱلْأَوْجَرُ : ٱلْخَائِفُ ٱلْمُشْفِقُ ، وَكَمْ فِي ٱلنَّـــاسِ مِنْ مُنْكِرٍ لِحَدِيثِهِ غَيْرِ مُصَدِّقٍ .

* * *

« وَقَدْ كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ عَنِ ٱلْكَلَامِ كَيْلَا أَتَعَرَّضَ لِلنَّقْدِ وَٱلْمَلَامِ ،

حَتَّى أَشَارَ عَلَيَّ بِالْقَوْلِ وَلِيُّهَا أَبُو فُلَانٍ ، وَهُوَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِعَقْلِهِ وَدِينِهِ ، وَلَمْ يُغَطِّ ٱلْبَادِيَ بِسَدِينِهِ ، (أَيْ لَمْ يَسْـــتُرْ مَا بَدَا مِنْ سَوْءَتِهِ وَعَيْبِهِ ، بِسَدِينِهِ وَثَوْبِهِ) .

* * *

فَإِنْ كُنْتُ ـــ بِتَعَرُّضِي لِلْمُخَاطَبَةِ ـــ أَسَأْتُ ٱلْأَدَبَ فِي ٱلْمُكَاتَبَةِ ،

فَوَلِيُّهُمَا ٱلْمشِيرُ ٱلنَّاصِحُ ، فِي ٱلْغَلَطِ شَرِيكٌ، فَقَدْ حَرَّكَنِي إِلَى ٱلْكِتَابَةِ وَأَنَا عَاجِزٌ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ وَٱلتَّحْرِيكِ .

وَقَدْ أَسَأْتُ ٱلْأَدَبَ — بِذٰلِكَ — ثَلَاثاً ، وَٱلتَّثْلِيثُ مَذْهَبُ ٱلْمَسِيحِيَّةِ ، فَإِنْ أَتَيْتُ بِالتَّرْبِيعِ ، تَمَادَيْتُ فِي سَيْرِيَ ٱلسَّرِيعِ ، حَتَّى بَلَغْتُ مَدَى ٱلتَّسْبِيعِ .

★

الفصل الرابع

النص الكامل

١ ــ فاتحة الرسالة

هَنَاءٌ[١] ، يُقْرَنُ بِهِ[٢] نُورٌ وَسَنَاءٌ[٣]
بَلْ تَهَانِىءُ ، يُرْغَمُ[٤] لَهُنَّ ٱلشَّانِىءُ[٥] ،
تَرَادَفُ[٦] إِلَى حَضْرَةِ ٱلْأُسْتَاذِ ــ طَالَ عُمْرُهُ فِي ٱلسَّعْدِ ٱلطَّالِعِ ، مَا خَلَدَ رُكْنَا[٧] « مُتَالِعٍ »[٨] ــ بِقُدُومِ ٱلْأُسْتَاذِ

---

(١) وبهجة وفرح .
(٢) يصاحبه ويتصل به .
(٣) رفعة وعلو .
(٤) يذل ويقهر .
(٥) العدو الكاره .
(٦) تتوالى متتابعة .
(٧) الركن : العز والمنعة ، والجانب الأقوى ، ومنه قولهم : كأنه ركن يذبل أي : عزيز منيع يحمي حماه كأنه جبل يذبل في مناعته وقوته .
(٨) « متالع » جبل بالبادية في بلاد طيء . وقد أطلق هذا الاسم على =

حَلِيفِ ٱلْجَلَالَةِ : « أَبِي عَلِيٍّ » ، لَا فَتِئَ - لِلزَّمَنِ - أَنْفَسَ حُلِيٍّ .

فهو - بهما - يُهَنَّأُ (١) ، خَضَبَ لَوْنَهُ ٱلْيَرَنَّأُ (٢) ، إِذْ هُوَ أَحَمُّ (٣) أَوْ أَحْمَرُ .

أكثر من جبل في نواح مختلفة من الأرض . وأشار إليه أبو العلاء في مواضع أخرى من رسائله وكتبه « أنظر ص ٤٩٠ من رسالة الغفران » و ص ١١٧ و ٢٤١ جـ ١ من لزومه (الطبعة الأولى - بالقاهرة - مطبعة الجمالية سنة ١٩١٥) .

(١) يقول : « إن الزمن ليبتهج ويستبشر بهذا الأستاذ وصاحبه » : « أبي علي » .

(٢) اليرنأ (بضم الياء وفتحها) : الحناء ، وتخضيب لونه بها ، اصطباغه بلونها . يدعو لصاحبه أن يمتلىء جسده صحة وقوة يتورد بهما لونه : يفيض ما يجري في عروقه من دماء العافية ، فيبدو - لرائيه - كأنما صبغته الحناء بلونها ، وقد سبق الكلام على اليرنأ في الشرح العلائي السابق .

وانظر ما كتبه في ذم الخضاب والحناء جـ ١ ص ٦٠ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١١١ ، ١٣٤ ، ١٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

وجـ ٢ ص ٥٨ ، ٦١ ، ٨٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٦٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨

(٣) أصم : أسود ، قال في لزومه :

يباكرنا الجون المضيء ، فينقضي ويعقبنا منه الأحم الدلامس

وقال :

ويحمل الهم قلبي معفياً جسدي رأسي أحم ، وظهري غير متأطر

٢ ــ تهنئات الأكفاء

وَٱلتَّهْنِئَةُ يَجِبُ أَنْ تَقَعَ بَيْنَ ٱلْأَكْفَاءِ[١] لَا عَلَى مِقْدَارِ ٱلْمِقَةِ[٢] وَٱلصَّفَاءِ[٣].

وَأَشْبَاهُهُ ــ فِي ٱلْعَصْرِ ــ قَلِيلٌ، وَقَدْ وَضَحَ ــ بِذٰلِكَ ٱلدَّلِيلُ.

وَمِمَّنْ يَصْلُحُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِٱلْخِطَابِ[٤] ــ لَوْ جَادَتِ ٱلْآوِنَةُ[٥] بِغُصُونِهَا ٱلرَّطَابِ[٦]، « صَاعِدُ

---

(١) الأكفاء : الأنداد والنظراء .

(٢) المقة : الحب والمودة .

(٣) الصفاء : صدق الاخاء . يعني أن التهنئات لا تكون إلا بين الأشباه والكفاة من الأنداد ، فلا يجوز لصعلوك حقير أن يزف التهنئة الى عظيم خطير مهما أضمر الصعلوك من مودة وحب .

(٤) يتعرض له بالخطاب : يتصدى لمحادثته .

(٥) الآونة : الأحيان ، واحدها : أوان : أي : حين .

(٦) الرطاب : المخضرة الناعمة الناضجة . يقول ؛ لو جادت الأزمان الخصبة والعصور الزاهية بأمثال « صاعد بن مخلد وسهل بن هارون وأضرابهما من الأفذاذ والكفاة » لجاز لهم أن يوجهوا تهنئاتهم الى مثله .

وقد جرى فيلسوفنا على تشبيه الناس بالغصون والثمر ، فقال في لزومه : =

ٱبْنُ مَخْلَدٍ »[1] ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي ٱلْمَجْدِ ٱلْأَتْلَدِ[2] ، وَصَاحِبُ

= « شر أشجار علمت بها شجرات أثمرت ناسا » الخ

وقد مرت بك هذه الأبيات في الفصل الاول من الكتاب .

وقال :

وهل أعظم إلا غصون وريفة وهل ماؤها إلا جني دماء

وقال :

أنامك ـ أيها الدنيا ـ ثمار فما تبقى على ومَد وقرس
ولو بقيت لأدركها مزيل بريب الدهر، من عجم وضرس

(١) صاعد بن مخلد : كان من أفذاذ الوزراء في الدولة العباسية ، وقد ظفر في سنة ٢٦٩ هـ بلقب « ذي الوزارتين » ولما قدم من « فارس » في رجب من سنة ٢٧٢ ودخل مدينة « واسط » ، أمر « الموفق » جميع القواد أن يستقبلوه . قالوا : « فاستقبلوه وترجلوا له قبلوا كفه » . ومما يجدر ذكره : أن « قطر الندى » بنت أبي الجيش : « خمارويه » بن « أحمد بن طولون » التي تزوجها « المعتضد » ، نزلت بدار « صاعد بن مخلد » في « بغداد » في الثامن من المحرم سنة ٢٨٢ ومعها أحد عمومتها » . وأخباره ذائعة مستفيضة فليرجع اليها المستزيد في القيم الثالث من الطبري — طبعة أوربا — (ص ١٩٣٠ و ١٩٨٨ ، ٢٠١١ ، ٢٠٣٧ ، ٢٠٤٠ ، ٢٠٤٨ ، ٢٠٤٩ ، ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ ، ٢٠٨٣ ، ٢٠٣٦ ، ٢١٠٤ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٢١٤٦) .

(٢) الأتلد : الأقدم .

ٱلْكُتُبِ : «سَهْـــلُ بْنُ هَارُونَ»[١] ، وَرُؤَسَاءُ لَمْ يَكُونُوا بِالْوَرْسِ[٢] يُهَارُونَ[٣] .

* * *

وَإِنَّمَا خَصَصْتُ «صاعِدا» و «سَهْلاً» ـــ وَإِنْ كانا لِلتَّكْرِمَةِ أَهْلاً ـــ إِذْ كَانَا فِي ٱلسَّالِفِ عَلَى شَرِيعَةِ ٱلْمسِيحِ ، يَنْظُرَانِ فِي مُلْكٍ لِلْعَرَبِ فَسِيحٍ . وَجَرَى مَجْرَاهُمَا

---

(١) «سهل بن هارون» ، بن راهبون ، كنيته : أبو عمر ، وهو فارسي الجنس ، أهوازي المولد . ولد في مدينة ميسان بين واسط والبصرة حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة ، وقد رحل الى «البصرة» في مستهل حياته الثقافية حيث درس من فنون الفلسفة والعلم ، وارتوى من مناهل المعرفة والأدب ، ما رفعه الى أسمى ذروة . وكان «شيعياً» معتدلاً ، وقد اتهم بالشعوبية .

وقد افتتن الجاحظ في تدوين أخباره في البيان والتبيان .

(٢) الورس : العيب .

(٣) يُهارون بالنقص : يرمون ويعابون ، يعني : لم يكن أحد يرميهم بنقيصة ، أو يعيبهم بذم .

«عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ٱلعِبَادِيِّ»[1] مُشيراً[2] لِلنُّعْمَانِ، فِيمَا فَرَطَ[3] مِنَ ٱلْأَزْمَانِ.

٣ — فَرِيسةُ الْأَسَدِ

وَإِذَا جَاءَتِ ٱلتَّهْنِئَةُ مِنْ غَيْرِ نَظِيرٍ[4]، فَإِنَّهَا تُعْتَقَدُ[5] مِنَ ٱلْمَحَاظِيرِ[6]، كَمَثَلِ ٱلْأَسَدِ لَمَّا ظَفِرَ بِفَرَسٍ لِبَعْضِ ٱلْمُلُوكِ،

---

(١) عديّ بن زيد العبادي: جاهلي نصراني، قبيلته تميم، وموطنه «الحيرة» وقد مرت بك ترجمته في رسالة الغفران (جـ ٢ ص ٨).
وأشار المعري في فصوله الى قوله:

«يا لبيني: أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا»

كما أشار إليه فيها مرات كثيرة منها ما تراه في ص ٣، ٤٧، ٥٨، ٢٧، ١٣١، ١٧٨.

(٢) المشير: هو الذي يبين وجه المصلحة ويدل على الصواب.

(٣) فرط: فات وتقدم وسبق.

(٤) كفء أو مثيل.

(٥) اعتقد الشيء: آمن به واطمأن اليه، فلم يحل رأيه عنه، ولم تنحل عقيدته.

(٦) المحاظير: المحرمات الممنوعة.

لَمْ تَسْمُ إِلَى رُكُوبِهِ نَفْسُ ٱلصُّعْلُوكِ ، فَحَمَلَهُ إِلَى ٱلْعِرِّيسَةِ ، وَأَخَذَ ٱلْكِفَايَةَ مِنَ ٱلْفَرِيسَةِ .

وَٱجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ أَصْنَافُ ٱلْوَحْشِ مُهَنِّئَاتٍ ، خُشَّعاً — مِنَ ٱلْهَيْبَةِ — مُتَجَنِّئَاتٍ [1] . فَقَائِلٌ لَا يَخْرُجُ عَنِ ٱلْإِيجَازِ ، وَصَامِتٌ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى ٱلْمَجَازِ .

٤ — تَهْنِئَةُ ٱلْفَأْرِ

فَلَمَّا أَرَمَّتِ [2] ٱلْجَمَاعَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ — فِي ٱلتَّكَلُّمِ — طَمَاعَةٌ [3] ، قَالَ فِرْنِبٌ [4] ، هُوَ — فِي ٱلْمَقَالَةِ — مُذْنِبٌ ، كَانَ بِالْأَجَمَةِ [5]

---

(١) « خشعا — من الهيبة — أي : خاشعات من هيبته . متجنئات » : منحنيات يقال : جنأ عليه وتجانأ : أكب عليه ، ويقال : « أرادوا ضربه فجنأت عليه أقيه بنفسي » . وإذا أكب الرجل على الرجل يقيه شيئاً قيل : أجنأ . وإذا أكب عليه يعوده ويتفقده قيل : أجنأ ، وقد مرت بك في الشرح العلائي السابق .

(٢) أرمّت : سكتت .

(٣) طماعة : طمح .

(٤) الفرنب : الفأر الذكر .

(٥) الأجمة : الشجر الكثير الملتف .

لَهُ وِجَارٌ[1] ، وَٱلضَّيْغَمُ[2] لَهُ نِعْمَ ٱلْجَارُ ، يَمْنَعُهُ أَذَاةَ ٱلشَّغُوبِ[3] ، مِنْ خَيْطَلٍ[4] تَبَرَّرَ وَسُرْعُوبٍ[5] :

« بُورِكَ لِلْمَلِكِ فِي ٱلْعَطِيَّةِ ٱلسَّنِيَّةِ ، وَمَا بَلَغَ مِنَ ٱلْأُمْنِيَّةِ » .

٥ ــ مَصْرَعُ ٱلْفَأْرِ

فَنَظَرَ ٱلْأَسَدُ نَظَرَ مُغْضَبٍ ، وَكَأَنَّهُ مِنَ ٱلْأَسَفِ عَلَى مِحْضَبٍ[6]

---

(١) الوجار : الحجر .

(٢) الضيغم : الأسد .

(٣) الأذاة : المكروه اليسير ، والشغوب : المشاغب المؤذي .

(٤) الخيطل : السنور ، أي : القط .

(٥) السرعوب : ابن عرس ، وقد أشار اليه في لزومه فقال :

غدا العِرسان بابنهما عدوا أقل أذية منه ابن عِرس
لقد ألقاك في تعب وهم وليد جاء بين دم وغِرس

وقال مشيراً الى ابن عرس وابن بريح (الغراب) :

« وابن عرس عرفت ،وابن بريح ثم عرسا جهلتـه وبريحا

(٦) المحضب : المِسعر ، والمقلى ، وحضب النار ، وأحضبها : رفعها وألقى عليها الحطب .

إِلَى سِرْحَانٍ [1] حَضَرٍ أَوْ نَمْرٍ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ مَا رَضِيَ بِذٰلِكَ ٱلْأَمْرِ . فَأَوْحَى — بِٱلْعَجَلِ — إِلَى هِرٍّ ، فِي ٱلْبَرِّ ، أَنْ يَنْزِلَ — بِٱلْبِرِّ ٱلنَّاطِقِ — مَا سَنَحَ مِنَ ٱلشَّرِّ .

فَجَعَلَ يَصِيحُ فِي مَخَالِبِ ٱلضَّيْوَنِ :

« مَا ذَنْبِي ! أُوكَلُ فِي جِوَارِ ٱلْجَبَّارِ : أُسَامَةَ ! »

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلْأَجْنَادِ :

« أَهَّلْتَ نَفْسَكَ لِخِطَابٍ : مَا كُنْتَ لَهُ بِأَهْلٍ ، فَعُدِدْتَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّفَهِ وَٱلْجَهْلِ » .

---

(١) السرحان : الذئب ، وقد أشار اليه في لزومه جـ ١ : ص ٥٦ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٩٨ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٥

و جـ ٢ ص : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١١٣ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٣١٨

وفي فصوله ص ١٦٢ ، ١٨٩ ، ٢٧٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٤١٠ ، ٤٤٩

وفي رسائله ص ٧٠ ، ٧١ ، ٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥ .

٦ ــ تَهْنِئَــةُ ٱلْعُصْفُورِ

« وَكَمَثَلِ عَظِيمٍ مِنْ جَوَارِحِ [١] ٱلطَّيْرِ ،
كَانَ يَرْجِعُ إِلَى ٱلْأَفْرَاخِ بِمَيْرِ [٢] ،
فَجَاءَ وَمَعَهُ إِحْدَى ٱلْفُورِ [٣] ،
فَصَمَتَتْ ذَوَاتُ ٱلْأَجْنِحَةِ غَيْرَ ٱلْعُصْفُورِ .

---

(١) الجوارح : ذوات الصيد من السباع والطير والكلاب .

(٢) بطعامهم .

(٣) الفور : الظباء ، واحدها فائر . وقد أشار اليها في فصوله ص ١١ ، ٢١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠
وفي رسائله ص ١٠٣ ، ١٤٦ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢١٨
وفي لزومه وأحدها جـ ١ ص ٣١ ، ٣٢ ، ٧٨ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨
وفي جـ ٢ ص : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ١٠١ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣٦٧ .

فَقَالَ : قَرَّتْ لامِحَتُكَ[1] مِنْ قَيْلٍ[2] ،
مَا اقْتَنَعَ لِلنَّاهِضِ[3] بِخَسِيسِ النَّيْلِ[4] ،
فَقَالَ ذٰلِكَ الْجَارِحُ لِبَازٍ[5] مِنْهُ قَرِيبٍ ،
لَاقِ هٰذَا الْجَاهِلَ بِسُوءِ التَّثْرِيبِ[6] ،
مَنْ هُوَ ؟ حَتَّى يَتَكَلَّمَ لَدَيَّ[7] ،

---

(١) قرت لامحتك : قرت عينك : رأت ما كانت متشوقة اليه ، قالوا : وقرت عينه : بردت سروراً وانقطع بكاؤها وجف دمعها ، قالوا : وبرد الدمع كناية عن السرور لأن دمع الفرح بارد ، ودمع الحزن سخن . وعلى ذلك قولهم في الدعاء على الرجل : « أسخن الله عينه » أي : « أسخن دمعه » كناية عن إحزانه إياه .

(٢) القيل : الرئيس : أو : الملك .

(٣) [الناهض : الطير قبل أن يكمل نبات ريشه] .

(٤) خسيس النيل : المطلب الخسيس .

(٥) الباز : ضرب من الصقور .

(٦) [التثريب : الأخذ على الذنب] .

(٧) يذكرنا هذا الأسلوب القارع بقوله في سقط الزند :

« ومن هو ، حتى يحمل النطق عن فمي   اليه ، وتجري بيننـــا السفراء ! »

كَأَنَّهُ أَمِنَ مِنْ رَدَيَّ[1] ،
فَأَوْمَأَ ٱلْبَازِي ٱلْمُتَجَبِّر ،
وَهُوَ عَنِ ٱخْتِطَافِ ٱلْبَائِسِ مُتَكَبِّر ،
إِلَى بَاشِقٍ بِٱلْحَضْرَةِ ، فَأَكَلَهُ مُعْتَاماً[2] ،
وَتَرَكَ أَفْرَاخَهُ أَيْتَاماً .

٧ ــ حَمَلَةُ ٱلْعِصِيِّ

وَأَمَّا أَقْرَانِي[3] فَأُولَئِكَ حَمَلَةُ عِصِيٍّ[4] ،

---

(١) كأنه أمن من قتلي إياه . وردي في معنى رداي ، أي : الهلاك الذي ينزل به من قبلي . وهذه لغة للعرب يستعملونها في المقصور كله فيقولون : هدى ، ونوى .

(٢) معتاماً : مختاراً .

(٣) أندادي ونظرائي .

(٤) يعني عميان يحملون العصي لتهديهم في أثناء سيرهم . ومن كان أنداده ونظراؤه من أمثال هؤلاء العجزة البائسين لا يجوز له أن يزج بنفسه في مخاطبة الوزراء والكبراء . وليس بمستغرب من أبي العلاء ان يكثر من الإشارة الى العصا في شعره ونثره ، فهي رفيقه وهاديه — كما يقول — في حله وترحاله . ومن أمتع ما قرأناه له من روائع المعاني في هذا الباب قوله في =

يَجْلِسُونَ بِالْمَكَانِ الْقَصِيِّ .

= العمى والعصا :

« والعصا للضرير خير من القا ئد : فيه الفجور والعصيان »

وقوله :

« أعمى البصيرة لا يهديه ناظره إذ كل أعمى لديه ـ من عصا ـ هادي »

وقوله :

تصدق على الأعمى بأخذ يمينه لتهديه وامنن بافهامك الصما

وقوله :

إذا مر أعمى ، فارحموه ، وأيقنوا ـ وإن لم تكفوا ـ أن كلكم أعمى

وقوله :

وجوهكم كسلف وأفواهكم عدى وأكبادكم سود ، وأعينكم زرق
وما بي طرق للمسير ولا السرى لأني ضرير ، لا تضيء لي الطرق

وقوله :

« دع الفروع ، وخذ المحجة لا تأمنن ذا عاهة مضجه
إن عصاك ـ وهي المعوجه تحدث ـ في رأس أخيك ـ الشجه »

وقوله : يشير الى أنه معتل العين كما أن لفظ قال معتل العين :

« أعللت علة « قال » وهي قديمة أعيا الأطبة كلهم إجراؤها »

ومن أبرع ما نقبسه له ـ في هذا الباب ـ قوله في « رسالة الأخرسين » (انظر رسالة الغفران ص ٥٢٠)

وقيل لرجل مكفوف : « لم تؤثر عصاك على قائد يقودك ، من الناس ؟ » قال : لأنها مقهية (ممتنعة عن الطعام) لا تطعم ولا تشره ، ولا تقابلني بما أكره » . =

= وقوله (ص ٥٢١ منها) : أنا مكفوف العين (ضرير) أتكلم في مكفوفي اللسانين (أخرسين) »

وفي رسالة الشياطين (ص ٥٠٤) نراه يطلق — على العصا — اسم المطية الأطلحية لأنها من شجر الطلح ، وقد وصف أحوال راكب الناقة وراكب الجواد وراكب البغل وراكب الحمار ، فلما بلغ راكب المطية الأطلحية (أي : العصا) وهو يعني بذلك ركوب رجليه ، أي السير راجلاً ، قال :

« ولا بأس ان يسلب الله الرجل حلة الأغنياء ، فيلبس — بتفضل الله — حلل الأنبياء . فيستعين على السفر بمطية أطلحية ، ليست بالملومة ولا المَلحية ، إذا حل — في المنزل — أغنته عن الملإ (الناس) ، بغنائها عن ماء وكلأ . وهي في التلف قريب الخلف (يسهل استبدال غيرها بها إذا تلفت . حبذا تلك المطية ! /

قال الله ، عز وجل : « وما تلك بيمينك يا موسى ؟ » قال : « هي عصاي أتوكأ عليها ، وأهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى » .

وقد أبدع « ابن حمديس » في إشارته الى عصاه التي يتوكأ عليها وهو في الثمانين من عمره ، قال :

« كأنها — وهي في كفي — أهش بها على الثمانين عاماً ، لا على غنمي

وقال ابو العلاء في رسالة العصا ، وقد كتبها الى الشيخ جعفر بن أبي القاسم بن أبي العود :

« مولاي الشيخ الأجل الأوحد ، أطال الله بقاءه ، وأدام نعماءه ، وكبت أعداءه .

واسمه جعفر ، والجعفر النهر الصغير الكثير الماء ، وإنه لفرات يرده =

فَإِنْ أَخْطَأْتُ ذَٰلِكَ[1] ،

فَقِرْنِي ضُلُّ بْنُ ضُلٍّ .

= أهل الاظماء ، فيغني الوارد عن القطر النازل من السماء .

وكنيته : أبو القاسم ، وهو يقسم ما رزق بين الضعفاء ، وطارق يجب له حسن وفاء . وهو يشفق على بعيد وقريب ، وأهل — من القوم — وغريب . والله — جلت عظمته — يريه ما يسره في نفسه وولده ، ويجعل المسرة مقرة في خلده . وأما انا فقد بلغت سناً تصير العالي — من الشجر — ثنا .

وفي هذه المدة ، عرض لي ما يمنع من القيام ، ويلحق النـــار الموقدة بالإيام (أي : الدخان) .

فاذا نهضت خلت أني متوقل في نيق يعجز تعــالى السوذنبق ، واذا مثلت قائماً لم أقـــدر على خطو إلا كما ضعف من القطو (تقارب المشي) . كأن خطوي فتر ، وبيد الله العافيــة والستر . ولا بد لي من عصا معينــة . والعجب للدنيا اللعينة .

وورد وليــه الشيخ ابو الحسن علي بن عبــد الله بن أبي هاشم وهو موقر من أياد ما زال — لمثلها — ذا اعتياد .

والله يستجيب مني فيه ، وفي أوداثه ، ما يرفـــع من دعاء ، فالرب الأول ملك الملوك وراعي الرعاء » .

(١) فإن أخطأت مكاني هذا وعدوت منزلتي وتجاوزت قدري ، كما فعل الفأر والعصفور ، فما أجدرني ان ألقى من سوء الجزاء مثل ما لقيا .

أَوْ هِيُّ بْنُ بَيٍّ[1] ،
وَكِلاهُمَا لَيْسَ بِشَيٍّ » .

٨ ــ الأصفران

فَأَمَّا ٱلْأُسْتَاذَانِ ٱلْجَلِيلَانِ ،
ــ زَادَ ٱللهُ ضِيَاءَ ٱلْأَيَّامِ بِبَقَائِهِمَا ــ فَلَا يُعْدَلَ بِهِمَا ٱلْأَصْفَرَانِ ،
إِذَا تُرْجِمَ عَنْهُمَا بِالذَّهَبِ وَٱلزَّعْفَرَانِ ،
وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا طِيباً يُنْشَقُ ،
وَٱلْآخَرُ مَالاً يُدَّخَرُ وَيُنْفَقُ .

٩ ــ رَوْقَا « فزارة »

وَلَكِنَّهُمَا فِي ٱلْهِدَايَةِ مِثْلُ ٱلْقَمَرَيْنِ ،
وَأَوَانُهُمَا فِي ٱلنَّصَفَةِ كَأَوَانِ ٱلْعُمَرَيْنِ[2] .
نُوقِنُ أَنَّهُمَا رَيِّقَا نَبَإٍ يُسَمَّى ٱلْوِزَارَةَ ،

---

(١) وقد مرت بك شرح هاتين الكلمتين في الفصل السابق .

(٢) النصفة : العدل والانصاف .

مَتَى سُمِّيَ فِي ٱلْحَسَبِ رَوْقَا فَزَارَةَ[1] ،
يَكُونَانِ لِلسَّارِيَةِ فَرْقَدَيْ لَيْلٍ[2] ،
وَلَا يَصِفُهُمَا ٱلْوَاصِفُ بِسَابِقَيْ خَيْلٍ ،

١٠ ــ أَلْحُرَّانِ وَٱلْعَبْدَانِ

إِذَا قَالَ ٱلْمَادِحُ : هُمَا ٱلْحُرَّانِ ،

---

(١) روقا فزارة هما : عمرو بن جابر وبدر بن عمرو اللذان عناهما الشاعر بقوله :

اذا اجتمع العمران : « عمرو بن جابر »
و « بدر بن عمرو » خلت ذبيان تبعا
وألقوا مقاليد الأمور اليهما
جميعاً قماء صاغرين وطوعا

قماء ، أي : أذلاء . صاغرين ، قال في لزومه :

نهاب أموراً ثم نركب هولها على عنت من صاغرين قماء

وقد اشار اليها في لزومه فقال :

« قد عاد شوك « فزارة » متحرقاً
وتصدعت من « دارم » الأحجار » الخ .

(٣) الفرقدان : نجمان وقد أشار اليها في داليته المعروفة فقال :

« فاسأل الفرقدين عمن أحسا من عباد وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار وأنارا لمدلج في سواد »

فَمَعَاذَ ٱللهِ أَنْ يَعْنِيَ نَقِيضَيْ عَبْدَيْن ،
وَلَا ٱللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا ٱلْأَخْطَلُ بِسُكْرِ ٱلْبَرْدَيْنِ [1] ،
فَقَالَ :

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبْتَلُ
فَمُجْتَمَعُ ٱلْحَرَّيْنِ فَالصَّبْرُ أَجْمَلُ

وَإِنَّمَا قَصَدَ كَثِيبَيْ رَمْلٍ ،
وَٱللهُ يَجْعَلُهُمَا كَابْنَيْ شَمَامٍ [2] أَبَداً فِي ٱجْتِمَاعِ ٱلشَّمْـــلِ ،
وَلَيْسَ غَرَضُ ٱلْمُقَرِّظِ حُرَّيْ مَعَدٍّ ،

---

(١) [البردان : الغداة والعشي ، وهما الصرعان] .

(٢) شمام (كسحاب ، ويروى : كقطام) : جبل .
وله رأسان يسميان ابني شمام .
قال لبيد :
« فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث ، إلا ابني شمام ؟
وإلا الفرقـدين وآل نعش خوالد ما تحـدث بانهـدام »
وفي هذا يقول في لزومه جـ ١ ص ١٩٦ :
ولا أدعى للفرقدين بعزة ولا آل نعش ما ادعاه لبيد
وقال بعضهم :
« كل أخ مفارقه أخوه — لعمر أبيك إلا ابني شمام

اَللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا «ابْنُ مَعْدِ يَكْرِبَ[1]» أَخُو الْحَدِّ[2]،
لِأَنَّهُ يُرْوَى عَنْهُ كَلَامٌ مَعْنَاهُ:

---

(١) عمرو بن معد يكرب الزبيدي: الفارس المعروف وقد أشار اليه في لزومه فقال:

أليس تميم غير الدهر سعدها   أليس زبيد أهلك الدهر عمرها

وقال:

«وما تنى الحادثات معدى   من مثل بسطام وابن معدى»

(٢) الحد: البأس والقوة، او الغضب والنزق. وحدك الخمر سورتها وصلابتها. وأنشدوا للأعشى:

«وكأس – كعين الديك – باكرت حدها
بفتيان صدق، والنواقيس تضرب»

وأخو الحد، أي: ذو القوة والبأس.

وكأنهم يستعملون الأخ في معنى الصاحب فيقولون: أخو السيف، أي: صاحبه، وأخو الحيرة... (ف ٢٧٥) وقد جرى على ذلك الأسلوب العربي عامة وأسلوب المعري خاصة، فهو يقول: «أين أخو الإباءة [الأجمه]؟»

ويقول في هذه الرسالة: «أفضل من جوار أخي كندة (امرىء القيس)»
ويقول في لزومياته:

أخوك امرؤ يستحيه الصديق   وآفته أنه يستحي

أخوك، اي: صاحبك، يعني نفسه. يقول أن الصديق يستحيني وهذا =

أَنِّي كُنْتُ آخُذُ ظَعِينَةً[1] أَطُوفُ بِهَا فِي أَمْوَاهِ « مَعَدٍّ »
مَا لَمْ يَلْقَنِي حُرَّاهَا وَعَبْدَاهَا .
يَعْنِي بِالْحُرَّيْنِ : عُتَيْبَةَ بْنَ الْحَرِثِ بْنَ شِهَابٍ الْيَرْبُوعِيَّ[2] ،
وَعَامِرَ بْنَ مَالِكٍ الْكِلَابِيَّ ،
وَبِالْعَبْدَيْنِ : « السُّلَيْكَ بْنَ السُّلَكَةِ[3] » ،

= موطن ضعفي .
ومما اختاره « ابو العلاء » في غفرانه قول الشاعر في هذا الباب :
« أتيح له — وكان أخا عيال — شجاع في الحماطة مستكن

(١) الظعينة : الهودج فيه امرأة ام لا ، والزوجة ، تقول ، هي ظعينة فلان اي امرأته لأن الرجل يظعن بها ، وهؤلاء ظعائنه اي : نساؤه .

(٢) وقد اشار اليه في لزومه فقال :
« وما عفت الحوادث عن شجاع فتعفو عن عتيبة او دريد »

(٣) انظر ترجمته في رسالة الغفران ، وقد اشار اليه في لزومه ج ١ ص ٤٣ ، ٥٦ و ج ٢ ص ٩٥ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٨ — وفي فصوله ص ١١٣ .
ومما يختار له من اشاراته قوله في لزومه :
« ألم تريا أن سلك الزمان أفنى «السليك» وأفنى « السلك »
وقوله :
« إن ابن يعقوب : سليكا ، غدا كابن عمير — في المنايا « سليك »
وهو من اشهر عدائي العرب المعروفين في الجاهلية .

وعَنْتَرَةَ[1] » ،

وَلَا مُعْتَمَـــدَ مَنْ أَثْنَى[2] : اَلْحُرَّانِ[3] اَللَّذَانِ هُمَـــا حُرٌّ وَأُبَيٌّ ،

لِأَنَّ خَفِيفَ اَلاسْمَيْنِ غَلَبَ اَلثَّقِيلَ ،

وَكَمْ لَفْظٍ لَا يَحْسُنُ وَإِنْ قِيلَ .

قَالَ اَلْيَشْكُرِيُّ[4] :

---

(١) انظر ترجمته في رسالة الغفران وقد اشار اليه في فصوله ص : ٤٤ ، ١٣٧ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ — كما اشـار اليـه في لزومه جـ ١ ص ٩٠ و جـ ٢ ص ١٨٠ .

(٢) يعني أن من أثنى على الأستاذين ومدحهما ليس معتمـده ومقصده : الحران اللذان هما « حر » و « أبيّ » .

(٣) الحران : كوكبان ، والحران اللذان هما أخوان : « الحر » و « أبي » فغلب الحر على « أبي » كما في الأب والأم الخ وقد سبق الكلام في ذلك .

(٤) اليشكري : هو المنخل اليشكري الشاعر الجاهلي المعروف صاحب الرائية المشهورة التي منها قوله :

وأحبهـا وتحبني ويحب ناقتها بعيري

ومنها :

« وإذا سكرت فانني رب « الخورنق » و« السدير

وإذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير »

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ ٱلْحرَّيْنِ عَنِّي مُغَلْغَلَةً[1]، وَخُصَّ بِهَا «أُبَيَّا»

١١ ــ الكَوْكَبَانِ

وَإِنَّمَا يُشَبَّهَانِ بِٱلْحرَّيْنِ ٱللَّذَيْنِ هُمَا كَوْكَبَانِ،
يَرَاهُمَا ٱلْمُدْلِجُ وَيَتَقَارَبَانِ.
كَمَا قَالَ ٱلْقَائِلُ:
وَلَمَّا بَدَا ٱلْحرَّانِ ــ وَٱللَّيْلُ دَامِسٌ[2] ــ
ذَكَرْتُ خَلِيطاً[3] نَازِلاً بِأَبَانِ

١٢ ــ الرَّبِيعَانِ

«حَرَسَهُمَا ٱللهُ شَهْرَيْ رَبِيعٍ،
وَمَا عَنَيْتُ شَهْرَيْنِ،
يُعْرَفَانِ فِي ٱلسَّنَةِ بِهِلَالَيْنِ،
وَلٰكِنْ أَرَدْتُ نَيْسَانَ وَأَخَاهُ،

---

(١) مغلغلة: رسالة محمولة من بلد الى بلد.

(٢) دامس: مشتدة ظلمته.

(٣) الخليط: الزوج وابن العم والصاحب والقوم الذين أمرهم واحد، الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه.

وَٱلْحَقُّ يَضِحُ[1] لِمَنْ وَخاهُ ،
فَإِنَّهُمَا رَبِيعَا عَامٍ[2] ،
يَجِيئَانِ ٱلْبَشَرَ بِالْإِنْعَامِ ،
ٱلْأَوَّلُ يُجْنِي ٱلثِّمَارَ[3] ،
وَٱلْآخَرُ يُسْنِي ٱلْأَزْهَارَ[4] ،

١٣ — الفَارِسَــانِ

مَا زَالَا — لِسَكْنِ هٰذِهِ ٱلرُّبُوعِ — أَنْفَعَ مِنَ ٱلْحَنْتَفَيْنِ[5] ،
وَيَشْرُفَانِ عَلَى كُلِّ مَيْنٍ ،

---

(١) يضح لمن وخاه : يبدو واضحاً لمن طلبه .

(٢) انظر رسالة الغفران ص ٢٨٥ .

(٣) يجني الثمار : يجعلها ناضجــة تجتني وتتناول من شجرتها ، قال « ابن الرومي » :
« أجنت لك الورد أزهار وأغصان » .

(٤) يسني الأزهار : يفتحها ويجلو اشراقهــا ونضرتها ، ويسني من السنا بالقصر أي الضوء : يقال أسنى البرق أي أضاء .

(٥) سكْن : جمع ساكن ، والحنتفان مر بك شرحهما في الفصل الســابق .

لَا كَشَرَفِ ٱلزَّهْدَمَيْنِ [1] ،
وَلَعَلَّهُمَا فِي بَنِي عَبْسٍ ،
تَقَدَّمَا بِالرَّهَقِ [2] وَٱلْأَبْسِ » .

١٤ ــ أُمْرُؤُ ٱلْقَيْس

« وَمُهَاجَرَةُ ٱلْأُسْتَاذِ أَبِي فُلَانٍ لَابَرِحَ فِي يَــدِ ٱلْمَمْلَكَةِ بِهِ سِوَارٌ ،
وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْأَمْلَاكِ ٱلْقَائِمَةِ جِوَارٌ ،
أَفْضَلُ مِنْ أَخِي كِنْــدَةَ [3] لِأَنَّهُ سَلَكَ تِلْكَ ٱلْمَسَالِكَ سَاعِياً فِي حَرْبٍ وَفَسَادٍ ،

---

(١) الزهدمان : مر بك شرحهما في الفصل السابق .

(٢) الرهق ، اي : الظلم وارتكاب الشر ، والأبس : تصغير الانسان وتحقيره ، وقد مر بك شرحهما في الفصل السابق .

(٣) أخو كندة : امرؤ القيس ، وقد مرت ترجمته في رسالة الغفران وأشار اليــه المعري في لزومــه ج ١ ص ٨٠ ، ١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٩٤ ، ٢٦٠ و ج ٢ ص ٦٣ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ٢٦٨ ، ٢٩٦ .

وَٱلْأُسْتَاذُ سَهِرَ لِإِيمَانِ ٱلسَّارِيَةِ [1] مِنَ ٱلْآسَادِ ،
وَسَوْفَ يَتَبَيَّنُ سَعَادَةَ ٱلْعَاقِبَةِ فِي ٱلدَّارِ ٱلْعَاجِلَةِ ،
قَبْلَ ٱلْآجِلَةِ [2] ،
إِذْ كَانَ خَلَّصَ أَسِيراً ،
أَوْ جَبَرَ بِعُرْفِهِ كَسِيراً [3] ،
فَكَأَنَّمَا صَنَعَ صَنِيعاً ، عَمَّرَ بِهِ أَبْنَاءَ

---

(١) إيمان السارية من الآساد : يعني تأمين السارين (من السرى بالليل) من الأسود ، وفي هذا اشارة الى قوله في داليته المشهورة :

وخطيب لو قام بين وحوش علم الضاريات بر النقاد

يعني : أن هذا الخطيب قادر لتفننه في طرق الاقناع الخطابي على أن يجعل الأسود الضارية تقلع عن شراستها وتتعود البر بصغار الغنم وما إليها من ضعاف الحيوان .

(٢) سوف يظفر بما هو أهل له من ثواب في الدنيا قبل أن يلقى مكافأته في الدار الآخرة على ما أسلف من خير ، وقدم من معروف .

(٣) « جبر – بعرفه – كسيراً » أي : أصلح بمعروفه المكسور منه بما يسديه اليه من صنيع . قال الشاعر ، وهو من أبرع ما رأيناه في هذا الباب :

« ونحن نصرناكم لئاماً أدقة وما لكم – من سائر الناس – ناصر
جبرناكم ، لا نبتغي نصرة بكم كما ضمت الساق الكسير الجبائر »

ٱلرَّاكِدَةِ[1] جَمِيعـــاً .

لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

« مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً . وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً » .

وَلَوْ جَـــازَ أَنْ تَنْشَقَّ ٱلطَّامِيَـــةُ[2] لِغَيْرِ ٱلْكَلِيمِ[3] ،

---

(١) أبناء الراكدة ، أي : أبناء الأرض الراكدة ، يعني : أبناء الدنيا . والمعري يكثر من استعمال هـذا التعبير ، نجتزىء من ذلك بقوله في رسالة الغفران (ص ٨) : « تعرج بها الملائكة من الأرض الراكدة الى السماء » وقوله في مخاطبة رضوان : « فكأنما أخاطب ركوداً صماء لأستنزل أبودا عصماء ... »

وقوله في غفرانه ص ١٥٩ في معرض الكلام عن بلاغة القرآن وإعجازه : « لو فهمه الهضب الراكد لتصدع » .

(٢) الطامية يعني : اللجـة الطامية ، واللجـة : هي معظم البحر ، وهو تارة يصفها بالسواد فيقول في لزومه :

وإنما نحن في سوداء طامية   وهل تخلّص ـ من أمثالها ـ السفن

وتارة يصفها بالخضرة فيقول في بعض رسائله : « ولكن على كل خير مانع ، ودون كل درة ، خرساءُ موحّية ، أو خضراء طامية » ـ وقد شبه الدهر باللجة في لزومه فقال :

بكينا على الأعمار والدهر لجة   فما صبرت للموج تلك السفائن

(٣) يعني موسى الكليم وقد أشار اليه في سقط الزند ، فقال : =

لَا نْفَرَقَ لُجُّهَا لَهُ غَيرِ مُلِيمِ [1] ،

« وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ [2] وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ » .

١٥ ــ حديث الحيتان

وَقَالَت ٱلْحِيتَانُ ٱلْمُتَفَكِّنَةُ [3] ،

= « فلو صح التناسخ كنت موسى وكان أبوك اسحق الذبيحـــا »

وقال في غفرانه على لسان الجني :

« وقد عرضت لموسى في تفرده بالشاء ، ينتج عمروساً وفرفورا »

وأشار اليـه في فصوله ص ٤٤٨ كما اشار اليـــه في لزومه جـ ١ ص ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٧١ وجـ ٢ ص ٦ ، ٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٣٤٣ .

(١) غير مليم : غير آت ما يستحق عليه اللوم .

(٢) جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح .

(٣) الحيتان المتفكنة أي : الأسماك المتعجبة ، وقـد أشار اليها في لزومه فقـــال :

والخلق حيتان لجة لعبت وفي بحـار من الأذى سبحوا

وأشـار الى النون وهو الحوت في لزومه جـ ٢ ص ٣١٠ ، وقال يخاطبـــه بأبيات في جـ ٢ ص ١٤٤ .

مَا حَـــدَثَ نُضُوبُ ٱلْمَاءِ[1] ،
إِلَّا لِخَطْبٍ قُضِيَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ،

---

(١) نضب الماء أي غار ، وقد إفتن شاعرنا في تصوير نضوب الميـــاه في ألواح فنية كثيرة في لزومه نختار منها قوله :

وللأشيـاء ، علات – ولولا خطوب للجسوم ، لمـــا رفضنه
وغارت –لانصرام حيا– مياه ، وكـن – على ترادفـه – يفضنه

وقوله :

ويقال : ان مدى الليالي جاعل جبـــلاً أقام كزاخر موّار

وقوله :

زعموا بأن الهضب سوف يذيبه قدر ، ويحدث للبحار جمودها

وقوله :

وللمقادر أحكام ، اذا وقعت بالهضب مار ، أو اللجى لم يَمُر

وقوله :

أجبلت الأبحر في عصرنا هذا ، كما أبحرت الأجبُل

وقوله في سقط الزند :

ويقال : إن البحر غاض ، وإنه ستعود سيفـا لجـة الرجّاف

وقريب من هذه المعاني قوله في لزومه :

يالهف نفسي : كم مدن غدون فلا فيه ، وكم فلوات عدن أمصارا

وقال في فصوله :

« فسبحان الله يجعل قدَره الجبل وادياً »

فَمَنْ هٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلصَّالِحُ ٱلَّذِي عَمِلَ خَيْراً فِي ٱلصَّرْعَيْنِ [1]،
وَدَأَبَ فِي صَلَاحِ ٱلشَّرْعَيْنِ ،
فَتَوَلَّى ٱللهُ عَنِ ٱلْإِنْسِ كِفَاءَهُ ،
وَحَفِظَ لَهُ فِي ٱلدَّارَيْنِ وَفَاءَهُ ،
وَلَا يَمْتَنِعُ فِي ٱلْقُدْرَةِ [2] أَنْ يَعْذُبُ لِبَرَكَتِهِ (ٱلْمَاءُ ٱلْأُجَاجُ [3] ،
فَيَعُودَ كَأَنَّهُ مِنَ ٱلنَّحْلِ مُجَاجٌ [4] ،

---

(١) الصرعان : الليل والنهار ، او : الغداة والعشي ، من غدوة الى الزوال : صرع ، والى الغروب : صرع آخر :
يقال : أتيته صرعى النهار ، اي : غدوة وعشية .
ويقال ايضاً هو ذو صرعين ، اي : ذو لونين .

(٢) يعني لا يمتنع في قدرة الله وقد مر بك في الصفحات الأولى من هذا الكتاب طائفة مما قاله في القدرة الإلهية وعجائبها ، وارجع اذا شئت الى لزومه جـ ١ ص ١١٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٣٣٠ ، و جـ ٢ ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٥ ، ١٤٦ ، ١٨٥ ، ٢٢١ ، ٢٧٨ ، ٣١٦ ، ٣٤٧ .

(٣) يجوز ان تكون سقطت هنا كلمة (الماء الأجاج) او (البحر الأجاج).

(٤) مجاج النحل : عسله ، ومجاج المزن : مطره ، ومجاج العنب : خمره . وقد أشار الى النحل في لزومه جـ ١ ص ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٩٦ ، ٣٢٤ و جـ ٢ ص ١٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٤٨ ، و ١٥٢ ، ٣٣٢ ، ٣٦٠ .

أَوْ تَسِيرَ ٱلسَّفِينَةُ عَلَى ٱلْيَبَسِ [١] ،
تُضِيءُ كَإِضَاءَةِ ٱلْقَبَسِ [٢] ،
فِي يَدِ مُتَعَجِّلٍ وَشِيكٍ [٣] ،
وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَنَالٍ بَشِيكٍ [٤] ،

١٦ — « عَرْشُ بِلْقِيس »

أَوْ تَحْمِلُهَا ٱلرِّيحُ ٱلْهَائِجَةُ كَحَمْلِهَا عَرْشَ ٱلْمُؤْمِنَةِ بِلْقِيسَ [٥] ،

---

(١) اليبس : المكان يكون رطباً ثم ييبس ، ومنه قوله تعالى :
« فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا » .
وقيل : « طريق يبس » : اي لا « ندوة فيه ولا بلل » .

(٢) القبس : شعلة تؤخذ من معظم النار .

(٣) وشيك : سريع .

(٤) منال بشيك : مطلب كاذب لا أمل في إدراكه .

(٥) يشير الى « بلقيس » ملكة « سبأ » وكيف نقل عرشها الى قصر « سليمان ». والقصة ذائعة معروفة ، وخلاصتها : أن « سليمان » — عليه السلام — تفقد الهدهد ، ذات يوم ، فلم يجده بين الطيور . فلما حضر الهدهد سأله : « أين

= كنت ؟ » وتوعده بالهلاك اذا لم يُدْل بحجة صادقة تشفع له في غيابه. فقص عليه الهدهد نبأ « بلقيس » ووصف له عرشها البديع ، وما فيه من نفائس الاحجار الكريمة واللآلىء الثمينة ، وكان الهدهد قد رآه في اثناء طوافه ببلاد اليمن في مدينة « سبأ » .

فعجب « سليمان » مما سمع ؛ وبعث الهدهد بكتاب الى « بلقيس » يأمرها بالحضور اليه طائعة مختارة ويحذرها مخالفة أمره . فجمعت حاشيتها واستشارتهم في أمرها ، فأظهروا لها استعدادهم لحرب « سليمان » . ولكنها بما وهبت من رجاحة العقل وبعد النظر — آثرت المهادنة والسلام ، على المخالفة والخصام . ثم بعثت اليه بهدية فاخرة ، راجية أن تكف بها عن نفسها ما تخشاه من الأذى. ولكنه رفض الهدية وأصر على إحضارها ، فلم تستطع لمشيئته رفضاً . وعلم « سليمان » بما اعتزمته ، فأعد لها في « أورشليم » — حاضرة ملكه — صرحاً باذخاً لم تقع العين قط على أبهى منه . وأمر الجن باحضار عرشها الى قصره العظيم فلما رأته في قصره دهشت في أمرها : فسألها سليمان : « أهكذا عرشك ؟ » فقالت متحيرة : « كأنه هو بعينه ! » ورأت أرض القصر من زجاج ممرد ، فحسبته ماء . فكشفت عن ساقيها حتى لا يبتل بالماء ثوبها . ثم ادركت الحقيقة فخجلت وقالت « رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .

وقد أشار المعري الى « بلقيس » في لزومه عدة مرات منها قوله :

« والملك ثبت للقديم ، وأبرزت ... « بلقيس » عارية بغير صدار
ولرب أجساد جديرات الثرى ... بالصون ، عادت في طلاء جدار
جسد ثوى ، ان تفترق أجزاؤه ... لم تنأ عن فلك عليه مدار =

إِذَا مُثِّلَ خَبَرٌ أَوْ قِيسَ[1] ،

= وقوله :

لنـــا رب ، وليس له نظير   يسـير أمره جبلا ويرسي
تظل الشمس ماهنـــة لديـه   فما « بلقيس » أم ما « ستبرس »

الى ان يقول :

تشابهت الخطوب فمـــا تناءت   حـــريرة لابس وقميص برس

وأشار الى سبأ في لزومه جـ ١ ص ٣٣ و ٥١ .

والى سليمان جـ ٢ ص ١٣٩ .

(١) إذا مثل خبر أو قيس . أي : إذا ضرب به مثلا ؛ أو قيس عليه ، أو قوبل به .

وهذا هو أسلوب المعري ، فهو يتحدث في غفرانه ص ١٢٠ على لسان « أبي هدرش » الجني ، يصف انقياد طائفته لإبليس ، فيقول :

ونسلم الحـكم اليـــه إذا   قاس ، فنرضى بالضلال المقيس

أي : تسلم حكمنا لإبليس ، فنرضى بما يراه لنا من الآراء الضالة .

وهو يعني بقوله « إذا مثل خبر أو قيس » : أن الرياح ربما حملت سفينـــة صاحبه – في هبوبهـــا – كما حملت عرش « بلقيس » ، فاننا متى تمثلنا هذه القصة سهل علينا أن نقيس عليها تلك الأمنية التي لا يستحيل تحقيقها . ولا ريب أن القدرة الإلهية التي لا يعجزهـــا أمر من الأمور ، قادرة على ابداع كل شيء وتذليل كل صعب .

وَتَظَلُّ سَوَاكِنُ ٱلْيَمِّ[1] ٱلزَّاخِرِ بِيُمْنِهِ[2] رَاتِعَاتٍ ،
بِالسَّلَامَةِ مِنَ ٱلشَّجَبِ[3] مُتَمَتِّعَاتٍ ،
تَجُولُ فِي مِثْلِ ٱلسَّهْبِ[4] ٱلْأَرْحَبِ[5] ،
كَخَيْطِ ٱلنَّعَامِ[6] ٱلْمُخَوِّدَةِ[7] وَٱلرِّبْرَبِ[8] ،

---

(١) اليم : الماء ، وسواكن اليم : الأسماك والحيتان .

(٢) بيمنه : ببركته .

(٣) الشجب : الهلاك .

(٤) السهب : الفلاة .

(٥) الأرحب : الواسع .

(٦) الخيط (بالفتح وبالكسر) : الجماعة من النعام ، يقال : رأيت خيطاً من النعام أي : طائفة منها . وقد اشار الى النعام في لزومه جـ ١ ص ٧٩ ، ٨٣ ، ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٣٢٦ ، و جـ ٢ ص ٩٥ ، ٩٧ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٣٠٦ . كما أشار اليها في فصوله ص ٦٦ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ٢١٩ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٣٧٦ ، ٣٩٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٤٢ ، ٤٥٨ ، ٤٧١ . وأشار اليها في رسائله ص ٧٣ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ١٩٧ .

(٧) المخودة : المسرعة في سيرها .

(٨) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

حَتى إِذَا هُوَ قَضَى ٱللُّبَانَةَ ،
وَآنَسَ مِنَ ٱلنُّجْحِ إِبَانَةً ،
عَادَ لِمُسْتَقَرِّهِ ٱلغَمْرِ [1] ،
وَخَمَدَ مِنَ ٱلإِفْكِ ٱلجَمْرُ [2] » .

١٧ ــ دعوة الجبال

« وَيَجُوزُ أَنْ يُنْطِقَ ٱللهُ ٱلأَوَّلُ جِبَالَ ٱلرُّومِ ،
فَتَقُولَ عِنْدَ ٱلرُّشْدِ ٱلمَرُومِ ،
لَيْتَ مَا تُنْبِتُ بِلَادُنَا مِنَ ٱلرِّيَاضِ ،
وَمَا ٱكْتَسَى بِهِ ٱلشَّجَرُ ٱلمُثْمِرُ أَوِ ٱلغِيَاضُ [3] ،
يَصِيرُ كُلُّهُ مِنْ دِيبَاجٍ [4] ،

---

(١) الغمر : أي : المزدحم بالكثير من الناس ، والمستقر : المقر والمجلس .

(٢) الجمر : النار المتقدة ، واحدها جمرة وقد سبق شرحه .

(٣) الغياض : الآجام ، واحدها غيضة وهي الأجمة ، أو : مجتمع الشجر في مغيض الماء أعني : في مدخل الماء حيث يذهب في الأرض .

(٤) الديباج : الثوب الذي سداه ولحمته حرير ، الواحدة ديباجة .

يَقْدَمُ بِهِ هٰذَا ٱلسَّيِّدُ مِنْ حَضْرَةِ ٱلْمَلِكِ ذِي ٱلتَّاجِ ،
هَدِيَّةً لِلسُّلْطَانِ ٱلْمُكَرَّمِ شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ [1] أَعَزَّ ٱللهُ نَصْرَهُ
يُفَرِّقُهُ فِي أَفْنَاءِ سُبَيْعَةَ [2] ،
وَيَأْخُذُ بِهِ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْبَيْعَةَ [3] ،
وَلَيْتَ مَا يَسْقُطُ عَلَيْنَا فِي ٱلْأَشْهَبَيْنِ [4] ،

---

(١) هو نصر بن صالح بن مرداس وكنيته : « أبو كامل » وقد نجا بعد أن قتل أبوه في سنة ٤٢٠ هـ . ثم ملك حلب « وبقي بها الى سنة ٤٢٩ هـ . » وقد سبقت الاشارة اليه في ص ١٥٥ من هذا الكتاب ، وفي رسالة الغفران ص ٧٨ وأشار اليه المعري في بعض رسائله ص ٦٣ .

(٢) الأفناء : جمع فناء وهو سعة أمام البيت يعني : يفرقه في أرجاء « سبيعة » وهو يعني قبيلة بني سبيعة وهي قبيلة معروفة ، وقد أشار اليها في لزومه فقال :

إذا ما بيعة زبرت لغى فأعط لهجرها أيمان بيعه
ولا تجعلك للايام كلبا ظباء من «ذؤيبة» أو «سبيعه»
فان الدهر ينقل كل حال كما نقل الحكومة من «ضبيعه»

(٣) جعل ما يفرقه من الحرير والديباج كالرشوة لأخذ البيعة ، وهو تهكم لاذع .

(٤) الأشهبان : وقد مرت بك في الشرح : عامان أبيضان ما بينهما =

يَصِيرُ — فِي ٱلْأَقْضِيَةِ [1] — مِنَ ٱللُّجَيْنِ [2] ،
فَيُحْمَلُ إِلَى تِلْكَ ٱلْخَضْرَةِ لِيَفُضَّهُ [3] ٱلسُّلْطَانُ ٱلْأَشْرَفُ عَلَى ٱلْأَوْلِيَاءِ ،
وَيَكُونُ سَبَبَ سَعَادَةِ ٱلْأَشْقِيَاءِ [4] ،

١٨ — دعوة الدرب

وَيَبْتَهِلَ ٱلدَّرْبُ ٱلضَّيِّقُ إِلَى ٱللهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ لِمَا شَاهَدَ مِنْ غُرِّ مَسَاعٍ ،

= خضرة. يقال عام أشهب أي مجدب لأن الزرع يشهب فيه ، قالوا والأشهبان : كانونان ، وقال في لزومه :

حملت كميتا تحت أدهم لم يزل في الأشهبين مقصراً بكميتها .

(١) الأقضية : جمع قضاء قال في فاتحة لزومه : « كان من سوالف الأقضية أني أنشأت أبنية أوراق ، توحيت فيها صدق الكلم » .

(٢) اللجين : الفضة ، وهو يعني بذلك أن أقضية الله وقدرته إذا شاءت حققت أمنيته فجعلت ما يسقط من السماء من ثلج وبرد في العامين المجدبين فضة .

(٣) يفضه : يفرقه .

(٤) الأشقياء : المعسرون وذوو الفاقة .

أَنْ يَزِيدَهُ ٱلْقَادِرُ مِنِ ٱتِّسَاعٍ ،
وَٱللِّصَابُ [١] وَٱلْحَرَجَةُ [٢] كَفِيحِ [٣] ٱلسَّبَاسِبِ [٤] ،
لَا تَشْرَقُ [٥] بِلَجِبِ [٦] ٱلْمَوَاكِبِ [٧] ،
وَتَكُونُ ٱلْأَحْجَارُ ٱلْخَشِنَةُ كَأَنَّهَا رِقٌّ [٨] نَعَامٍ ،
وَٱلْأَكَمَةُ [٩] خِوَاناً وُضِعَ لِلطَّعَامِ ،
يُصِيبُ مَا طَلَبَ مِنْهُ ٱلسَّاغِبُ ،

---

(١) اللصاب (جمع لصب ، وقد مر بك) : الشِعب (الطريق) الصغير في الجبل .

(٢) الحرجة : الأماكن الضيقة .

(٣) الفيح : (جمع أفيح) وهو الواسع .

(٤) السباسب : (جمع سبسب) وهو المفازة أو الأرض المستوية البعيدة .

(٥) لا تشرق : لا تغص .

(٦) لجب ، يقال : جيش لجب : ذو جلبة وكثرة .

(٧) المواكب : جمع موكب وهو : الجماعة - ركباناً أو مشـــاة - وهو يعني : أنها لا تغص بجموع الجيوش العظيمة ولا تضيق بكثرتها .

(٨) الرق : جلد رقيق يكتب فيه .

(٩) الأكمة : التل ، أو : ما اجتمع في الحجارة في مكان واحد .

وَهُوَ مُرِيحٌ[1] أَوْ لَاغِبٌ[2] » .

١٩ ــ أَسَد النجوم[3]

وَسَيِّدَانَا ٱلْأُسْتَاذَانِ :
أَذَلَّ ٱللهُ مُعَانِدَهُمَا أُخْرَى ٱلْمَنُونِ (إِلَى ٱلْأَبَد) .

---

(١) المريح : الذي رجعت إليه نفسه بعد الإعياء .

(٢) اللاغب : المتعب الذي اشتد به الإعياء ، يقال (جاءنا ساغباً لاغباً » أي : جائعاً معيياً .

(٣) يريد شاعرنا بأسد النجوم : « الليث » وهو أحد البروج الاثنى عشر ، وقد أشار اليه في لزومه فقال :

« وصور ليث الشهب في مستقره ولو شاء أمسى ــ فوق غبرائه ــ كلبا »

وهو يعني بذلك أن الله ــ سبحانه ــ قادر على تحويل ذلك البرج المسمى بالليث ، كلباً من كلاب الأرض .

العالم العالي

وقد سبح به خياله في هذه القصيدة الحاشدة بأعمق التأملات في عجائب صنع الله وكمال قدرته التي أبدعت العالم العالي وزينته بالنجوم و « السهى » و « الثريا » و « السماكين » كما أنشأت القلب (يعني : قلب العقرب ، وهو من منازل النجوم) ، وألحقت النحول والهزال بالبدر بعد تمامه ، فخيل لرائيه أنه =

إِذَا كَانَ ٱلسُّلْطَانُ ٱلْمُكَرَّمُ شِبْلُ ٱلدَّوْلَةِ أَسَدَ ٱلنُّجُومِ .
كَانَا ــ لَا مَحَالَةَ ــ ذِرَاعَيْهِ ،

= سوار كسرته يد الظلام ، وأدنى الرشاء للعراقي (وللرشاء معنيان ، فهو : منزلة من منازل القمر ، وهو أيضاً : حبل الدلو ، والعراقي : جمع عرقوة وهي خشبتان تعرضان على الدلو) . ولما كانت هـذه الدلاء من منازل القمر ، فهي لا تحتاج الى رشاء (حبل) أياً كان نوعه ، سواء أكان شريعاً (حبلاً من الكتان) أم جلبـاً (حبلاً من ليف) . ثم صور الليث (وهو – كما أسلفنا – أحد البروج الاثنى عشر) في مكانه من السماء . ولو شـاء – سبحانه – لحوله كلباً من كلاب الأرض ، ثم رمى بفراقد النجوم إلى الأرض وجعلها من فراقـد الأرض (وهي أولاد البقر الوحشي) ، وأنزل الى دنيانا الثور (وهو أيضاً من منازل القمر) ، فجعله مثل سميّه الثور الأرضي : يكرب (يحرث الأرض) ، فتشتبك بظلفيه الشوابك والهب (وللهلب معنيان ، أحدهما : الشعر ، والآخر : كوكب من الكواكب) . ثم أنزل نعام الجو – من عليائها – فجعلهـا نعاماً أرضيّة مفزعة القلب تهيم على وجهها في الدوّ (الفلاة) ، تخشى أن يغلبها الصيادون على أمرهـا ، فلا يقر لها قرار من شدة الخوف ، ثم أمر الحوت ، (وهو : من أبراج القمر كذلك) فهوى الى البحر ليعيش مع أخيه الحوت في الماء ، وأسكن النجوم المتألقة في السماء حفرة ضيقة في الأرض بعـد أن كانت تنير الظلماء في الليلة الحالكة الدجياء ، وإليك النص العلائي :

فربكم الله : الذي خلق السهى ... وأبدى الثريا والسماكين والقلبا
وأنحل بدر التم – بعد كماله – ... كأن به الظلمـاء قاصمة قلبا =

وَإِنْ أُغلِقَ بَابُ ٱلرَّأفَةِ .

= وأدنى رشاء للعراقي ، ولم يكن شريعاً ، إذا نص البيان ولا خلبا
وصور ليث الشهب في مستقره ولو شاء أمسى ـ فوق غبرائه ـ كلبا
وألقى على الأرض الفراقد فارتعت مع الفرقد الوحشي ترتقب الألبا
وأهبط منها الثور يكرب جاهداً فتعلق ظِلفه الشوابك والهلبا
وأضحت نعام الجو ـ بعد سموها ـ سدى في نعام الدو لا تأمن الغلبا
وأنزل حوتاً في السماء ، فضمه إلى النون ـ في خضراء ـ فاعترف السلبا
وأسكن في سك ـ من الترب ـ ضيق نجوم دجي في شبوة أبت الثلبا

ومن بدائعه في هذا الباب قوله يشير الى الليث من أبيات :

وأمسى الليث منها ليث غاب يجاذب فرسه المتوحدات

جهل النجوم

وقد شرح في تلك الأبيات كيف جهلت النجوم أمور الغيب التي استأثر بعلمها الخالق — سبحانه — كما جهلناها ، وعلل جهلها أسرار الغيب بأنها محدثة مثلنا غير قديمة فقد أوجدتها قدرة الله — كما أوجدتنا من العدم ، ولو شاء خالق الكائنات لأسقطها من عليائها ، فانطفأ نورها وخبا ضوءها ، وهوت الى ظلمة العدم متتابعة : واحدة في أثر الأخرى ، وتحول الليث (وهو — كما أسلفنا — أحد البروج الاثنى عشر) فأصبح من أسود الأرض : يسعى دائباً لكسب القوت الخ . وإليك النص :

« فهل علمت بغيب من أمور نجوم للمغيب معردات =

فتحـــا مِصْرَاعَيْهِ ،

= وليست بالقـــدائم في ضميري ـ لعمرك ـ بل حوادث ،وجدات
فـــلو أمر الذي خلق الـــبرايا تهاوت للدجى متسردات
وأمسى الليث منها ليث غاب تجاذب فرسه المتوحدات . » . الخ

* * *

ومن أبرع ما يختار له في هذه القصيدة قوله ، يسخر ممن أسندرا إليهـــا العقل والتمييز ، ويفنـــد رأي من وصفوها بالمنطق ، وزعموا أن لها عواطف ورغبات ، وآراباً وغايات ، تحفزها الى المنافسة والمحاسدة ، وتزج بها في ميدان التحاقد والمكايدة :

« وقد زعموا بأن لها عقولاً وأقضيـــة المليك مؤكدات
وأن لبعضها لفظاً ، وفيهـــا حواسد ـ مثلنا ـ ومحسَّدات »

وقد أشار الى هذا المعنى – في سخرية عالية – حين قال :

« أيعقل نجم الليل أم بدر تمه فيصبح من أفعالنا يتعجب ؟ »

ومن بدائع تأمله قوله الساخر في نجوم الليل :

« لعل نجوم الليل تعمل فكرها لتعلم سراً ، فالعيون سواهد »

وقريب من هذا المعنى قوله يتمثل الليل خائفاً يرتعد من الموت فرقاً :

« كأنما الليل – لخوف الردى تأخـــذه من فَرَق رعدة »

إهانة الشمس

وقوله يفنـــد مزاعم المتخرصين الذين يزعمون أن الشمس تضرب وتهان متى =

وَاللهُ بِكَرَمِهِ يُنْعِمُ عَلَى الرَّعِيَّةِ ،

= حان وقت شروقها :

وقد كذبوا حتى على الشمس : أنها تهان – إذا حان الشروق – وتضرب.

حبال الشمس

ومن بديع لفتاته قوله في بعض رسائله (ص ٥٥٢ من رسالة الغفران) في حبال الشمس التي يسمونها خيط باطل أو سوط باطل ، وهو حبل منسوج من ضوء الشمس يبصره الرائي من كوة أشبه شيء بالهباء :

« ولن يصير سوط باطل في القوة كالمسد (الحبل المحكم الفتل) » .

وقوله في لزومه يؤكد هذا المعنى متهكماً :

فان حبال الشمس ليست ثوابتاً لشد رحال أو قوابض جذب

ولم يفته ، بعد ذلك ، أن يعرض علينا صورة لهذا المعنى تقابل سابقتها وتخالفها ، فذكرنا ببقاء حبال الشمس على ضعفها ، ودوامها الى ما شاء الله ، على حين تبلى شباك الصيادين برغم متانة فتلها ، وإحكام نسجها . وهو من بدائع اللفتات العلائية العميقة . قال :

« هذي حبال الشمس – وهي ضعيفة دامت ، وكم أبلت حبالة خاتل

مصارع الكواكب

وقد صور في بعض فصوله طائفة من الألواح الفنية ، فتمثل – على مألوف عادته – القدرة الإلهية وقد أبدعت من غرائب المحال ما لا يخطر على البال ؛ فانتقلت بإذنها الكواكب والنجوم من العالم العالي الى العالم الهاوي فسقط النجم =

بِمَدِّ ٱلْبَقَاءِ لَهُمَا مُنْعَمَيْنِ ،

= من سمائه بعد أن صيره القدر عبداً ذليلاً من عبيده أو أمة حقيرة من إمائه .

وليس هذا الخيال بمستغرب منه ، فالنجوم عنده كغيرها من الأناسي وسائر الكائنات عبيد لخالقها أو إماء :

للمليك المذكرات عبيد وكذاك المؤنثات إماء

وقد تمثل في « سقط الزند » آخرة العالم ومصارع الكواكب ، وكيف أن القدر متصرف تنفذ مشيئته في « زحل » وهو — فيما يرى — أعلى الكواكب داراً ، وأسماها مكاناً ، فيدركه الفناء ، كما يدرك أحقر الأحياء ، كما تمثل نجوم الثريا يجري عليها حكم القدر فيبددها ، كما يبدد كل عقد إذا ائتلف .

ثم قرر أن نار المريخ ، سيجري عليها القدر حكمه ، وينفذ فيها مشيئته ، فيطفئها بعد أن دام اشتعالها ويجني جمرتها بعد أن طال التهابها . قال :

« زحل أشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد والثريا رهينة بافتقاد الشمل ، حتى تظل في الأفراد ولنار المريخ — من حدثان الدهر — مُطف وإن علت في اتقاد »

إذلال النجوم

وتخيل — فيما تخيله من بدائع فصوله — أن العالم العالي قد أنزلته قدرة الله الى عالمنا الهاوي ، فأسقط القضاء النجم من سمائه ، وصيره القدر عبداً ذليلاً من عبيده ، أو أمة حقيرة من إمائه ، فأصبح « زحل » زارعاً مشغولاً بالسعي في طلب الرزق : يحرث الأرض ، ويسير في أثر بقرة حثيثة الخطا ، وصار =

= «المريخ» خادماً يحتطب ليظفر بحاجته من الوقود . وانقلب « المشتري » تاجراً يسوم البضائع للمشترين . وهكذا .

وإليك النص العلائي :

أيتها النفس المجهشة (المتهيئة للبكاء) مهلاً
قرب مماتك ، فلا تقولي لي : « كلا » .
بليت ، وحسرتك لا تبلى .

* * *

مبتدعك مقتدر على أن يجعـــل « زحل » كراباً (حراثاً) يتبـع خائرة (بقرة) عجلى .

و « المريخ » ما هنا (خادماً) يطعم الإرة (وهي الحفرة يوقد فيها النار) حطباً جزلاً .

و « المشتري » سائماً (وهو الذي يسوم البضاعة عنـــد الشراء) يقول : « ما أرخص وأغلى » !

و « الشمس » في قلادة كعاب تجلى (والشمس ضرب من الحلى ، والمعنى : أن الله تعالى لو شاء جعل هذه الشمس الطالعة شمساً في القلادة) .

و « الزهرة » زهرة تعلو بقلا ،

و « عطارداً » كاتب تاجر ينظر ما قال وأملى ،

و « القمر » بياضاً يستبطن يداً أو رجلا ،

و « الشرطين » قرني حمـل (والمنجمون يزعمون — فيما يقول أبو العلاء — أن الشرط قرن الحمل) يَرْتَعي خَلِيً (نباتاً رطباً) =

= و « البطين » محتوياً على كبد وكلى ،

والثريا منيرة في بعض الحنادس – منزلاً : (يعني أن الله تعالى يقدر أن يجعل ثريا الكواكب التي في السماء ، مثل ثريا القناديل التي في الدور)

وحادي النجم راعياً يبتع قلاصا عجلا (حادي النجم ، يعني : الدبران ، والنجم : الثريا ، قال الشاعر :

وأيـــة ليلة لا كنت فيها كحادي النجم يحرق مايلاقي

والعرب تتشاءم بحادي النجم وقلب العقرب والقلاص : الشواب من النوق .

والهقعة دائرة في طرف (فرس) عاطلاً أو محجلاً ، [الهقعـة من دوائر الفرس يتشاءم بها ، ويقال : إنها بياض في الجانب الأيمن مما يقع عليه أحد جانبي السرج ، وكانت العرب تتيمن بها] ،

والهنعة تركب عنقاً مذللاً [اشتقاق الهنعة من قولهم : في عنقه هنع ، اي : اطمئنان] .

والذراع [الذراع يذكر في لغة عكل] يطبخ فيمسي منتشلا ،

والطرف عيني أسد تزران إذا رأى سفراً مليلا (في الليل) ،

والنثرة والجة في الأنف يقدم وجهاً مسهلاً (ضـد الجهم) [والنثرة باطن الأنف ، ومنه قيل : « استنثر الرجل » أي : أدخل الماء في باطن أنفه ، ويقال « طعنه فأنثره » إذا ألقاه على النثرة ، قال الزاجر :

« إن عليها فارساً كعشرة إذا رأى فارس قوم أنثره

وإنما شبهت نثرة الأســـد في النجوم بنثرة الأنف ، كما جعلوا له ذراعاً وجبهـــة]

والزبرة تعلو كتداً لليث يسكن دغلاً [زبرة الأســـد: الشعر الذي يعلو =

= كتفيه ، وبها سميت زبرة النجوم . والكتد : مجتمع الكتفين] .

والجبهة [ويقال للخيـــل : جبهة] خيلا كراماً ، أو جبهة ضرغام : لا يحذر محتبلا (لا يخاف حبالة الصياد) يقتنص في غابه ظليما (ذكر النعام) أو وعلا .

والصرفة خرزة تغدو بهـــا المرأة طالبة أملا [ويقال لضرب من الخرز (التي تزعم نســاء الأعراب أنهن يصرفن بهن الزوج) الصرفــة . ولهن خرز كثير ، فمنهن : الصدحة ، والزلقة ، والكحلة ، والوجيهة والهمرة ، والهنمة .

ويقولون في سجع لهن : أخذته بالهنمة ، بالليل عبد ، وبالنهار أمة .]

والعواء ضروة (كلبة) تتبع فرقا (قطيعاً عظيما من الغنم) مهملا [والعواء من الكواكب ، — تمد وتقصر ، والقصر أكثر — وأنشد في المد :

قــد برد الليــل التمام عليهم وقد صارت العواء للشمس منزلا

وقال قوم من أصحاب الأنواء : العواء : كلاب تتبع الأسد] وقد ذكرها شاعرنا في لزومه بالقصر ، فقال :

« أم يخطب العوى السماك ويعـ ـطيهـا الذي ترضـاه من مهر »

(انظر مقدمة الغفران) [والضروة : الكلبة ، وكانت كلبة حومل التي يضرب بها المثل فيقال : « أجوع من كلبــة حومل » يقال لهــا : « العواء » . ويقال : إن « حومل » صاحبتها طبخت قدراً ، وأن الجوع حمل الكلبة على أن تدخل رأسها في القدر وهي تغلي »] .

والسماك الأعزل راجلا يشتكي عزلا ،

والرامح فارساً يخضب قناته قتلا ،

والغفر نمطا تودعه الظعينة (الزوجة) حللا [والغفر : نمط يجعل كالعكم =

= (الغرارة) فتجعل فيه المرأة متاعها ، ويقال: إن الغفر من النجوم سمي بذلك، والله أعلم] .

والزباني على شوشب سلاحاً لا يرهب فلاّ ، والإكليل للفرضخ مجللا [والزباني : قرن العقرب الأرضية، وكذلك هو للعقرب من النجوم ، وشوشب: من أسماء العقرب الأرضية ، والفرضخ : من أسماء العقرب] .

والشولة معها نصلا ،

والقلب بين جوانح يوجد مشتعلا ، [وقلب النخلة ، يقال في جمعه قلبة] ، أو بين سعف نفى عنه المشذب هملا ،

والنعائم [النعائم خشب يوضع على البئر] على قليب (بئر) يوجد مظلّلا ،

والبلدة في نحر ظل مقبلا ، [البلدة – من النحر – وسطه]

وسعدا الذابح مقتراً يذبح حملا [سعد الذابح : من منازل القمر ، وإنما قيل الذابح لأن قدامه كوكباً تزعم العرب أنه ذبحه ، والذّبح : المذبوح أو ما أعد ليذبح ، قال جرير :

ولسنا بذبح الجيش – يوم أوارة – ولم يستبحنا عامر وقبائله]

وسعد بلع طاعماً يلتهم أكلا ،

وثالثها : سعد بن ضبيعة قائلا مرتجلا [وسعد بن ضبيعة هو سعد بن مالك بن ضبيعة ، وهذا يجوز في كلام العرب ويكثر ، ومنه قوله ﷺ :

أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب]

وسعد الأخبية سعد بن زيد نازلا مرتحلا [وسعد بن زيد هو سعدبن زيد =

= مناة ابن تميم] .

والفرغين يكتنفان غربا سَحْبلا [والفرغان : من النجوم شبهها بفرغي الدلو ، وهو : ما بين العراقي . وربما قالت العرب : العرقوتان وهم يريدون الفرغين قال عدي بن زيد :

« في نبات سقاه نوء من الدلـ ـو تدلى ولم تخنه العراقي »

والغرب : الدلو العظيمة ، والسحبل : العظيم البطن ، من الدلاء والوطاب والنـاس]

والرشاء مرسا (حبلا) في يد مهيف أي عطشان] ينضح بالماء غللا ، من حُول ولقاح [والحول : جمع حائل وهو الأنثى من أولاد الإبل ساعة توضع] ولقاح (حامل) .

مراجع النصوص العلائية

وللمعري في هذا الباب روائع لا تحصى ، فلنجتزىء منها بهذا القدر اليسير تاركين لكتاب : « العالم العالي » تفصيل ما أجملنا بعضه في هذه الوجازة ، ولمن شاء الاستزادة من هذا الابداع الفني العالي أن يرجع الى لزومه ج ١ ص ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، =

= ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ،
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،
٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ،
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،
٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ .

جـ ٢ ص ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٧ ،
٨٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،
١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ،
٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، =

كَالسِّمَاكَيْنِ (١) ــ فِي النَّبَاهَةِ ــ أَوِ الْمِرْزَمَيْنِ (٢) ،

= ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ .

وديوان سقط الزند جـ ١ ص ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ .

(١) السماكان كوكبان نيران يقال لأحدهما : السماك الرامح والآخر السماك الأعزل وفي ذلك يقول شاعرنا :
=

فَقَدْ نَشَأَ لِلْعَدْلِ عَارِضٌ[1] ،

يَنْتَعِشُ مِنْهُ ٱلْبَارِضُ[2] ،

كَمَا قَالَ ٱلْفَرَزْدَق :

يَا مَنْ رَأَى عَارِضـــاً أَرِقْـــتُ لَهُ

بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجَبْهَـــةِ ٱلْأَسَـــدِ[3]

= « لا تطلبن بآلة لك رتبـــة قلم الأديب – بغير حظ – مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما ، هـــذا له رمح وهذا أعزل »

ويقول في لزومه :

« وما أظن المنايا تخطو كواكب جريه
ستأخذ النسر ، والغفـ ـر ، والسماك ، وتربه »

(٢) المرزمان نجمان مع الشعريين ، وقد أشار إليهما في لزومه فقال :

أمطرنا الله بإحسانـــه لا أنسب الغيث الى المرزمين

(١) العارض : سحاب يعرض في أفق السماء ، وقد سبق شرحه .

(٢) البارض ، كما مر بك : أول ما يظهر من النبات .

(٣) « بين ذراعي وجبهة الأسد » سبق الكلام عنها في (ص ١٩٠) .

وَلَيْسَ بِخَافٍ عَنِّي أَنَّ سُكُوتِي هُوَ ٱلْمَتْجَرُ[1] ،

---

(١) قال في لزومه :

رأيت سكوتي متجراً ، فلزمته إذا لم يفد ربحاً فلست بخاسر

وقد امتدح الصمت في جمهور نثره وشعره ، وغلا في امتداحه حتى آثر العي وفضل الخرس على الكلام فقال في لزومه :

«يستحسن القوم ألفاظاً – إذا امتحنت يوماً فأحسن منها العي والخرس »

فضل الخرس

وقد أبدع طائفة من أروع الصور في الإشادة بفائدة الخرس ومزاياه في « رسالة الأخرسين » التي ألحقناها برسالة الغفران (ص ٥٠٧) . ومن أبرع ما كتبه في تلك الرسالة في وصف هذين الأخرسين قوله في وصفها إنهما :

« رجلان ، ما اغتابا قط ولا يغتابان ، ولا كذبا ، ولا يكذبان ، ما نطقا بكلمة ذميمة ، ولا فاها – مع البشر – بالنميمة » . وما حكاه في تلك الرسالة من قول بعض الصالحين : « لأن يدعو لي رجل أخرس ، أحب إلي من أن يدعو لي ألف خطيب على ألف منبر ، لأن ذلك يومىء إلى الله – سبحانه – بلسان ما أفك ، ولا قال البهتان ، وأولئك جديرون أن يكونوا كما قال الله سبحانه :

« يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » .

الجار الأخرس

وقوله : « وكان – لبعض الناس – جار أخرس فتوفي ، فرآه في النوم ، فجعل يومىء إليه – كما كان يفعل فيما سلف – فأجابه بلسان طلق : =

= « يا فلان ، صرت بعدك من خطباء الجنة ، كلما مضت اربع وعشرون ساعة من ساع الدنيا ، نصبت لنا منابر من الياقوت ، فنمجد عليها الله ، ويقال لنا « هذا بما أمسكت ألسنتكم في دار الغرور » .

فنحن كما قال القائل :

« خطباء على المنابر ، فرسا ن عليها ، وقالة غير خرس »

وقوله : ومن فضائل الخرس إجماع الأمم على حمد الصمت ، حتى قال القائل : « الصمت حكم وقليل فاعله » .

فضل الصمت

ومن وصاياه في الصمت قوله في فصوله : ص ١٧٤ : « وإن عصتك الغريزة فعليك الصمات إن كان كلامك لا ينتفع به سواك . فان ظننت المنفعة لغيرك فلا بأس بعظتك وأنت مصر على الآثام » . وقوله في ص ٢٥ : « التقى ملجم ، يفتقر كلامه الى ان يترجم » وقوله في لزومه :

« فأمسك غرب فيك ولا تعود على القول الجراءة والهجوما »

وقوله :

« على الكذب اتفقنا ، فاختلفنا ومن أسنى خلائقك الصموت »

مراجع النصوص العلائية

وارجع اذا شئت الاستزادة مما أبدعه من الصور البيانية في هذا الباب الى لزومه جـ ١ ص ٥٦ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣ ، ٢٩٤ ، ٣١٠ ، ٣٢٧ ، وجـ ٢ ص ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٧ ، =

وَٱلْكَاذِبُ مُسِيءٌ أَوْجَرُ[1] ،

= ٦٧ ، ٩٢ ، ١١٤ ، ١٥٦ ، ١٦٨ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٣٠٥ ، ٣٣٤ ، ٣٦٠ .

(١) أوجر كما مر بك خائف ، وهو يعني بذلك أن الكذاب يجمع الى إساءته وذنبه ، جبنه وخوفه .

الكذب كما يراه أبو العلاء : مراجع النصوص

وللمعري في ذم الكذب فنون تضيق بتفصيلها مطولات الرسائل والكتب بله موجزات الشروح ومختصرات التعليقات وحسبنا أن ننبه القارىء المستزيد الى ما أبدعه شاعرنا من روائع الصور البيانية في هذا الباب في لزومه

جـ ١ ص ٣١ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ .

وجـ ٢ ص ٣ ، ٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، =

وَقَدْ كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ [1] حَتَّى أَشَارَ بِٱلْقَوْلِ وَلِيُّهَا أَبُو فُلَان ، وَهُوَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِعَقْلِهِ وَدِينِهِ ، وَلَمْ يُغَطِّ ٱلْبَادِيَ بِسَدِينِهِ [2] ،

فَإِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ ٱلْأَدَبَ فِي ٱلْمُكَاتَبَةِ فَهُوَ — فِي ٱلْغَلَطِ — شَرِيك .

وَرُبَّ لَا يُحْتَمَلُ فِيهِ ٱلتَّحْرِيكُ [3]

= ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ .

(١) الإمساك : الصمت .

(٢) والسدين ثوب من كتان ، يعني : أن صاحبه ناصح أمين : ظاهره كباطنه — صفاء ونقاء ، فهو لا يرتدي ثوب الرياء ليحجب عن الناس عقيدته ورأيه .

(٣) لا يحتمل فيه التحريك ، أي : لا يطاق ولا يصبر عليه . =

= ورب وربة وربما وربتما (بالتشديد ، وقد يخفف) : حرف خفض لا يقع إلا على نكرة . وقد عرض له التاج ببحث واف ، فليرجع إليه من شاء في ج ١ ص ٢٧٨ و ٢٧٩) .

الساكن المشدد

فاذا قرأنا هذا الحرف بالتشديد ، تبادر الى فهمنا : أن شاعرنا يعني أن التشديد في هذا الحرف ثقيل لا يحتمل ولا يطاق ، وذكرنا قوله في لزومه :

« وخلت أني حرف الوقف : سكنه وقت، وأدركه — في ذاك — تشديد »

الساكنـــان

فاذا قرأنا « ربْ » بتسكين الباء (كمذ) ، وهو — كما يعلم القارىء — حرف مبني على السكون . تبادر الى فكرنا أنه يعني تشبيه نفسه — بعد أن أدركته الشيخوخة — بهذا الحرف في ملازمته السكون ، وعجزه عن الحركة ، فانهما ساكنان لا يتحركان .

فاذا قرأناها بالدال (بدلاً من الراء) — وهي مترجحة الشبه في المخطوطة بين الراء والدال ، تبادر إلينا انه يعني بلفظ « دب » زمن الشيخوخة التي تعجز صاحبها عن الحركة والسير ، وتجعله يدب على العصا ، كما يشير الى المثل القائل « أعييتني من شب الى دب » (بضمها وينونان) . أي : من الشباب الى أن دب على العصـا . قالوا ويجوز : « من شب الى دب » — على الحكاية — وتقول « فعلت كذا من شب الى دب » .

وقد اقتبس أبو العلاء هذا المثل في رسالته التي كتبها الى خاله ابي القاسم علي ابن سبيكة عند طلوعه من العراق ووجد أمه قد توفيت ولم يعلم قبل مقدمه =

= بذلك. قال يخاطب نفسه : «وعصيتني من شب الى دب» أي : من شبابي الى ان دببت على العصا . فهو يعني أن الشيخ الهرم الذي يدب على العصا يعجز عن الحركة والنهوض ، وقد أشار الى هذا المعنى في صور عدة نجتزىء منهـــا بقوله يصف ضعفه وعجزه عن القيام :

« فاذا نهضت انهضت » ، يعني : انه اذا حاول النهوض او القيام انهاض ، أي : انكسر بعد الجبور . ويقال : هاض يهيض فهو مهيض ، وانهاض وتهيض: انكسر .

قصة الحروف والألفاظ

وقد ألفنا من المعري مثل هذه الأساليب في جمهور نثره ونظمه ، كما ألفنا منه ولوعه بتشبيه نفسه وغيره بالحروف والألفاظ وما إليها .

بين الحركة والسكون

وله في هذا الباب فنون لا تحصى ، منها قوله ، يقابل بين الناس والحروف في التحريك والتسكين :

« والمرء مثل الحرف — بين سهاده وكراه — يسكن تارة ويحرك »

وقوله :

والناس — بين حياتهم ومماتهم — مثل الحروف : محرك ومسكن

وقوله يصف تعاقب الحركة والسكون :

إذا مرت الأوقات حرك ساكن، وسكن — في أضعافها — المتحرك

وقوله :

ونحن — بعلم الله — من متحرك يرى ساكناً ، او ساكن يتحرك =

= وقوله :

فيا ألف اللفظ : لا تأملي حراكاً ، فما لك إلا السكون

قبيلة السكون

ومن غرائب إيهامه ، وبدائع استخدامه : قوله يخاطب « كندة بن عفير ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد » ، ويشير في لباقته المألوفة — الى قبيلتي « السكون » و « سكسك » وهما من ولد : « أشرس بن كندة » هذا :

يا « كند » ما خلت السكون تحركت — بعد السكون — ولا أخوها السكسك

حوار ميمين

ومن بدائع تصويره في هذا الباب ، ما كتبه في بعض فصوله متمثلا حرفي الميم والألف يتحدثان — باذن الله ويتحاوران ،

قال :

لو أذن (الله) قالت ميم : « قم » — إذا لقيتها الألف واللام — لألف قام: « لم لا تحركين » ؟

فقالت :

« أصابك ألم ،

إذا كانت الحركة كسراً ، فالسكون أسلم ،

والله يميت المتحركات » .

تأملات في الحروف

فاذا انتقلنا من بدائع تصويره في الحروف بين الحركة والسكون، الى =

= ما أبدعه من فنونه الأخرى فيها ، رأينا - من خياله الخصب وتأمله العميق - ألواناً من أبكار المعاني في هذا الباب ، منها قوله :

« والخير يندر - تارات - فنعرفه ولا يقـــاس على حرف إذا ندرا »

وقوله :

والبـــاء مثل الباء : تخـ ـفض - للدناءة أو تجـر

وقوله :

تواصل حبل النسل ما بين آدم وبيني ، ولم يوصل بلامي باء

وهو يعني بلامه : - في هذا البيت - نفسه ، كما قال في بعض رسائله لأبي القاسم المغربي : « ولوددت لو رزق لامه (ذاته) ما رزق كلامـه لينال خلود الزمان ، وتعطيه الحوادث أوكد أمان » ، ويعني بالباء :الزواج .

معتل العين

ومن مختار شعره تلك الشكوى الصارخـــة التي أودعها بيته الحزين في لزومـه متفجعاً لفقـد بصره ، مقابلا بينه وبين فعل « قال » وكلاهما معتل العين - وقد أوردناه في أثنـاء الكلام على العصا (ص ٢٣٠) من هذا الكتاب ، قال :

أعللت علة « قال » ، وهي قديمة أعيا الأطبـــة كلهم إبراؤها

بين اللين والهمز

ومن بدائع لفتاته قوله :

سُر الفتى - من جهله - بزمانه وهو الأســـير ليوم قتل يصبر

لعبت به أيامـــه ، فكأنـــه حرف يلين - في الكلام - وينبر =

وقوله يصف انصراف الناس عن الحق ، وضلالهم عنه ، وإنكارهم له :

سألت عن الحقائق كل قوم فما ألفيت إلا حرف جحد

تنافر الحروف

ومن طرائف لفتاته مقابلته بين تنافر طبائع الناس والحروف جميعاً ، كقوله :

أعياك خل ، ولولا قدرة سلفت لم يمكن الجمع بين الخاء واللام

وقوله يخاطب الدنيا :

دنياي : فيك هوى نفسي ومهلكها والماء يودي بنفس الوارد الصادي

وما قصدتك مختاراً ، فتعذلني فيك العواذل ، إن حاولت إقصادي

والمرء يطلب أمراً ما يبينه كالحرف يلفظ بين الزاي والصاد

وقوله يقابل بين تنافر الأقارب : من الناس ومن الحروف :

بعض الأقارب مكروه تجاورهم وإن أتوك ذوي قربى وأرحام

كالعين والحاء : تأبى أن تقارنها في لفظها ، فحياها قربها حامي

بيوت الحروف

ومن روائع التشبيه التي أبدعها في فصوله ، قوله يصف البيت الذي يتمناه ، ويؤثر على جميع البيوت سكناه :

« رب : أبلغني هواي ،

وارزقني منزلاً لا يلجه سواي ،

من دخله أمن ،

= فهو كـ « عند » وأنا كـ « من » .

وهو يعني بذلك ، كما فسره : أن « عند » لا يدخل عليها من الحروف شيء غير « من » .

وقول العامة ، فيما يرى : « ذهبنا الى عنده » خطأ .

قال : « وزعم النحويون أن « عند » غير محدودة ، لأنها تقع على الجهات الست ، و « إلى » للغاية ، فامتنعت « عند » من دخول « إلى » عليها ، لأن في « إلى » بعض التخصيص .

مضمر « نِعم »

ومن البيوت التي اختارها لسكناه بيت يضمره ويستره عن الناس ، فيقضي حياته مضمراً في ذلك البيت . كمضمر « نعم » . قال في لزومه :

وما زال نعم الرأي لي : أن منزلي كأني فيه مضمر كن في نِعما

وقال يصف الزوج الكاملة التي يؤثر لك أن تختارها إن كان لا مفر من الزواج :

« تزوج — إن أردت — فتاة صدق كمضمر « نعم » دام على الضمير

إذا اطلع الأوانس لم تطلع إلى عُرُس — تمر — ولا أمير »

فضول الحروف

وهو يمقت الفضول والتزيد — في الحروف والأناسي جميعاً — ويدعو الله أن يجنبه ذلك ، فلا يجعله كالحروف الزائدة ، لأنها — فيما يرى — فضولية غير أصيلة . وإن دعت إليهن الحاجة ، فيقول :

« ولا تجعلني — رب — كواو الخزم . =

= والثابتة في الجزم .

وأثبت اسمي في ديوان الأبرار مع الأسماء المتمكنات » .

ويقول في تفسيرها : واو الخزم : هي التي تزاد في أول بيت الشعر . ويكون مستغنياً عنها . وأكثر ما يزيدون الواو والفاء وألف الاستفهام للحاجة إليهن . وزعم الأخفش أنهم يزيدون الحرفين [أي على وزن البيت] نحو « بل » وما جرى مجراها الخ » .

وقوله : لا تجعلني – رب – معتلا كـ « واو يقوم » . ولا مبدلا كـ « واو موقن » : تبدل من الياء .

ولا أحب ان اكون زائداً مـــع الاستغناء ، كـ « واو جدول وعجوز » (الواو فيهما زائدة لأنهما من الجدْل والعجز) ، فأما « واو عمرو » فأعوذ بك – رب الأشياء – إنمـــا هي صورة لا جرس (لا صوت) لها – ولا غناء – مشبهها لا يحسب من النسمات » .

حرف النفي

وقال يتمثل حاله بعد موته :

« تلبس طمريّ اللبسة ،
وتوحش الدار المؤنسة ،
وأصبح – وحالي منعكسة –
كأني حرف نفي بعد إيجاب » .

حرف الضمير

وقال وهو من بدائع اللفتات : =

= « رب : لأكن - بين عبادك - كحرف الضمير ،
ناب عن الأطول وهو قصير » .

ومن بدائع إشاراته الى الضمير ايضاً ما كتبه في بعض رسائله الى صاحبه أبي القاسم المغربي ، يصف ما وهبه الله من براعة الإيجاز ، قال :

« ودل على جوامع اللغة بالإيماء ، كما دل المضمر على ما طال من الأسماء » .

براعة الإيجاز

ومن بدائع أخيلة أبي العلاء في الاشادة بالإيجاز قوله ايضاً من رسالة الى صاحبه « أبي القاسم » ، وكأنما يصف لنا المعري أسلوب نفسه : « شاهدنا - فيما سمعناه - المعنى الحصير (المحصور المستوعب) في الوزن القصير ، كصورة كسرى في كأس المشروب ، وتمثال قيصر في الإبريز المضروب ، لم يزر به ضيق الدار ، وقصر الجدار » .

وقريب من هذه الصورة قوله . يصف أسلوب أبي القاسم ايضاً . ولعله أبرع ما قرأناه في وصف الإيجاز والتركيز :

« يجمع بين اللفظ القليل . والمعنى الجليل . جمع الأفعوان في لعابه بين القلة وفقد البلة » .

وإذا فتن النقاد بتلك الصورة الخالدة التي أبدعتها براعة الشاعر العالمي شكسبير في قصة « هملت » حين عرض لوصف خنجر القاتل ، وتمثل أن بحار الدنيا كلها عاجزة عن تطهيره وإزالة ما لصق به من الدم ومحو أثر الجريمة منه . فان إعجابهم سيتضاعف حين يرون في هذه الصورة العلائية البارعة كيف تمثل شاعرنا أسلوب صاحبه الحاسم يصيب الهدف في أوجز لفظ فلا يرده عن غايته شيء ، كما تصيب القطرات القليلة من لعاب الثعبان غايتها ، فلا يزيل أثرها كل =

= ما يحتويه العالم من ماء ودواء .

الحرية والقيد

ومن رغبات شاعرنا وصادق أمانيه أن يطلقه الله ، من قيد الحياة ، كما أطلق « لبيد » الشاعر الجاهلي قافية معلقته إطلاقاً لا يجوز فيه التقييد ، على حين قيد « رؤبة بن العجاج » الراجز المعروف مطلع أرجوزته — كما قيدت الدنيا شاعرنا — تقييداً لا يجوز فيه الاطلاق .

وقد عبر عن هذا المعنى في فصوله ص ١٣٥ أحسن تعبير ، حين قال :

قيدتني تقييد : « وقاتم الأعماق » .

فأطلقني إطلاق « عفت الديار » .

وهو يشير بهاتين الاشارتين الى قول رؤبة :

« وقاتم الأعماق خاوي المخترق مشتبه الأعلام لماع الخفق »

وقول لبيد :

« عفت الديار محلها ، فمقامها بـ « منى » تأبد غولها ، فرجامها »

التشابه والاتفاق

ومن طرائفه قوله في فصل آخر ، مناجياً الله سبحانه :

« خالقي : لا أختار شبه الظالمين ،

فان الشيئين يتشابهان ، فينقلهما التشابه الى الاتفاق :

كإنّ — المكسورة المشددة — أشبهت الأفعال ، فجاء بعدها اسمان : آخرهما كالفاعل ، وأولهما كالمفعول .

وكذلك ما قاربها من الأدوات » . =

= وكتب في شرحه على ذلك – تعليقاً – ما يلي :

« إنّ يشبهونها بالفعل الذي يتقـدم مفعوله على فاعله ، مثل « ضرب زيداً عمرو » وما قاربها من الأدوات ، مثل :

« ليت » . و « لعل » وما أشبهها » .

قوة الأقدار

ومن دقائق تأملاته قوله يصف قوة الأقدار في لزومه :

جمعنا بقـــدر ، وافترقنا بمثله وتلك قبور بدلت من مساكن

نفتنا قوى . لا مضربات لسالم بلا . بل ولا مستدركات بلـكن

نطق الحروف

وللمعري في تمثل نقاش الحروف وحوارها فنون معجبة ، مر بك بعضها في هذا الفصل . وسيمر بك طائفة أخرى تريك – من عمق تفكيره وتصويره – آيات معجزات . فهو يتمثل في أحد فصوله (ص ١٢٠) حواراً يجري بين حرفي الراء والهاء . ثم يختمه بهذه اللفتة البارعة :

« والله – بقدرته – يعلم النطق الحروف .

وهي – لخوفه – مستشعرات » .

كلام القوافي

وقوله (ص ٩٠) :

« هل تشعر الألف ،

ولتشعرن ، إن شاء الله :

أنها تمجد الله متوسطة ، ومنتهى ، ورويا الخ » .

وللمعري في مداعبة الحروف والقوافي وما إليها فنون لا تحصى ، وقـــد عرضنا لذلك في مقدمة الغفران ، وذكرنا كيف تمثل قوافي أبي تمام الشاعر =

= كائنات حية : توشك – لو علمت مصابه – ان تولول عليه نادبات ، كما تمثل في رسالة الاغريض معلقـــة امرىء القيس كلهـا عجوزاً فاجرة ، (الغفران ص ١٢) .

والآن نعرض عليك قوله في بعض فصوله يداعب حرف اللام الذي اختاره امرؤ القيس قافية ، ويصف عجزه عن الكلام (الغفران ص ٤٧٧) .

« وما تشعر لام « قفا نبك » أمطلقة هي أم مقيدة » !

ثم ما لبث أن تخيلها قادرة على الكلام باذن الله ، فمثلها لنا في بعض رسائله المخطوطة شاكية متبرمـــة بقائلها منددة بمساوئه ومخازيه ، كما تمثل ديوان امرىء القيس ، معنفاً صاحبه على ما أودعه فيه من سقطات ، فهو : – كما قال أبو العلاء : « لو أذن له في الكلام ، لعقد به كل ملام .

فقالت « قفا نبك » ، وهي أم ما نظـم من القريض ، والراتعـة في الأنيق الأريض :

إن الكندي (امرأ القيس) أقر في أبيـاتي بعهار ، من سر – يكتم – ومن جهار الخ » .

وسيمر بك تفصيل هذا في شرحنا لرسالة الديوان إن شاء الله .

شهادة الهمزة

ومن بدائعه في فصوله كذلك قوله في (ص ٢٣٥) منها :

وشهدت بك الهمزة في « إبل » ترزق منها المسكين ،

وإبر تنعش بها الفقير ،

وأذن : أنت – لما وعته – سميع .

وأمم عدلك – بجزائها – جدير .

وسبحتك الهمزة المتوسطة في مواضع بعدد الليالي والأيام الخ » . =

الحرف الحي

على أن شاعرنا يسبح خياله في تمثل حيـــاة الحروف — ما شاء له تصوره الرحيب وآفاقه الفسيحة — ولكنه يجري على مألوف عادته ، متى عاد الى عالم الحقائق ، وخلع عنه ثوب الشاعر الحالم المستغرق في تأملاته ، فلا يكاد يلتفت في لزومه الى جماعة النصيرية القائلين بالتناسخ ، حتى يفتـك بمزاعمهم وتخرصاتهم فتكة الناقد الباطش ، منددا بهم ، ساخراً من ضيق تفكيرهم وفساد معتقدهم ، وسوء تعبيرهم ، كما ترى في قوله :

يا آكل التفـــاح : لا تبعدن ... ولا يَقـــم يومُ ردى ثاكلك
قال النصـيري — وما قلتـه — ... فاسمع ، وشجع ـ في الوغى ـ ناكلك
قد كنت في دهرك تفاحـــة ... وكان تفـاحـك ذا آكلك
وحرف هاج لحت فيما مضى ... وطالمـــا تشكله شـــاكلك

وقد مر الكلام في هذا حين عرض شاعرنا للحديث عن التناسـخ في رسالة الغفران (ص ٢٤٩) .

في العالم الآخر

ولقد شغل فيلسوفنا أدباء الجنة وشعراءها وغيرهم في العالم الآخر بجمهرة من المسائل النحوية والصرفية واللغوية وما إليها ، وأبت له دعابته الساخرة إلا أن يشغل طائفة من أعلام اللغة — في الفردوس — بالوزن الصرفي لكلمة « إوزة » وما الى ذلك من بدائع فكاهاته وتناذره .

وتخيل نفسه — في رسالة الملائكة — يحاور ملك الموت ليدفعـه عنه وقت حلول الأجـــل — ويسأله عن الوزن الصرفي لكلمتي « ملك » و « ملائكة » ويدلل على صحة رأيه بأقوال أئمة اللغة ، فيقول له الملك :

ما هذه الأباطيل :

إن كان لك عمل صالح فأنت السعيد ، وإلا فأخسأ وراءك » .

= كما تخيل نفسه يحاور الملكين في القبر ، ويسألهما : كيف جاء اسماهما عربيين غير منصرفين ، وأسماء الملائكة كلها من الأعجمية مثل إسرافيل وجبرائيل وميكائيل الخ .

ويسأل خازن النار — متوددا — عن واحد الزبانية ، وعن تصريف غسلين ، وهل النون في جهنم زائدة ؟

كما يسأل « رضوان » عن الترخيم ، سؤال الأبله الغبي ، أو — على الأصح — المتبالله المتغابي .

وقد بلغ الذروة في دعابته وسخريته حين قال :

ولعل في الفردوس قوما ما يدرون : أحروف الكمثرى كلها أصلية ؟ أم بعضها زوائد ؟

وهكذا الى أن يقول :

وما يجمل بالرجل — من الصالحين — أن يصيب من سفرجل الجنة ، وهو لا يعلم كيف تصغيره وجمعه ، ولا يشعر إن كان يجوز أن يشتق منه فعل أم لا ؟

ثم يقول :

وهذا السندس : الذي يطؤه المؤمنون ويفرشونه . كم فيهم من رجل لا يدري أوزنه فعلل أم فنعلل الخ (انظر رسالة الغفران ص ٤٤١ الى ص ٤٦٩) .

أدلة النحاة

وقد بقي علينا أن نوجز لك رأيه في أدلة النحاة والصرفيين بعد ان زخرت كتبه بالاشارة اليها في منثوره ومنظومه ، وإليك ما قاله في فصوله (ص ٧٣) :

أمر لا يضرك الجهل به ،

ولا يسألك عنه مولاك ،

قولك : « أخوك والزيدان » . =

= أين منها حرف الاعراب ؟

وقد عرض في تفسيره لرأي « سيبويه » أن الألف في قولك : « الزيدان » هي حرف الاعراب ، ورأي « أبي عمر الجرمي » : أن الألف حرف الاعراب وانقلابها هو الاعراب ، وقول « الأخفش سعيد » : الألف دليل الاعراب . وكذلك الاختلاف في « واو أخوك » و « ياء الزيدين » .

ومن بدائع تهكمه في هذا الباب قوله في فصوله (ص ٧٣) :

« لا يسخط عليك الله والملكان ، اذا لم تدر : لم ضمت تاء المتكلم وفتحت تاء الخطاب » .

وقد لخص — في تفسيرها — ما يزعمه النحاة من أن تاء المتكلم خصت بالضم ، لأن اكثر ما يخبر به الانسان عن نفسه ، فأعطيت التاء اقوى الحركات. وقولهم : إن الضم من الشفة — لانه من الواو — وأول ما يخبر الرجل عن نفسه ، فحمل الاول على الاول . ولما حصلت الضمة في تاء المتكلم لم يكن بد من الفرق ، فآثروا المخاطب المذكر بفتح التاء لأن المؤنث أولى بالكسر .

وقوله :

« كذبت النحاة : أنها تعلم لم رفع الفاعل ونصب المفعول . انما القوم مرجمون والعلم لعلام الغيوب الخ » .

هدير الجمل

ويحسبنا ان نختم هذه الوجازة بقوله متهكماً ساخراً من شقشقة النحاة . متخيلاً مجادلتهم ومناقشتهم كهدير الجمل وصخبه . واليك قوله في بعض فصوله :

« لو عاش الدؤلي حتى يسمع كلام الفارسي في الحجة . ما فهمه — فيما أحسب — الا فهم الأمة هدير السنداب (الجمل الغليظ الشديد) » .

وَٱلتَّثْلِيثُ مَذْهَبُ ٱلْمَسِيحِيَّة [1] ،
فَإِنْ أَتَيْتُ بِالتَّرْبِيعِ ،
فَمَا أَجْدَرَنِي بِبُلُوغِ ٱلتَّسْبِيعِ [2] .

انتهت الرسالة

---

(١) لشاعرنا في لزومه لفتات وإشارات الى هذا المعنى نجتزىء منها بقوله في التثليب والتوحيد في لزومه :

وفي مهج الأنام مثلثات — على علاتها — وموحدات

٢ — قصة الارقام

يعني انه ارتكب في تحرير هذه الرسالة ثلاث غلطات ، وهو يخشى ان يخطىء مرة أخرى فينزلق في طريق الغلط ، ويثب — من التربيع — الى التسبيع ، ومنه الى ما يليه ، وهكذا دواليك ، ويتمادى في ذلك الى غير حد . والعرب تضع التسبيع موضع التضعيف وإن جاوز السبع . وسبع القوم : تموا سبعمائة رجل . ويقال : « سبع الله لك » اي : اعطاك أجرك سبع مرات ، او سبعة أضعاف ، او رزقك سبعة اولاد ، وهو على الدعاء .

وقد أغرم أبو العلاء بهذا العدد ومضاعفاته — فيما أغرم به من اللعب بالأعداد والألفاظ - وقد مرت بك طائفة من دعاباته وإشاراته الى الحروف والألفاظ ، وإليك بعض ما قاله في هذا الصدد :

« سبح ، وصل ، وطف بمكة زائراً — سبعين — لا سبعاً — فلست بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له — أطماعه ، لم يلف بالمتماسك »

وقال :

« جسد من أربع تلحظها — سبعة راتبة في اثنى عشر »

وقال :

« أرى أربعاً آزرت سبعة — وتلك نوازل في اثنى عشر » =

= وقال :

يقولون : صنع من كواكب سبعة ، وما هو إلا من زعيم الكواكب

وقال :

وتقاسم الأيام من مرت به — من أهلها — كتقاسم الأيسار
هي سبعة — مثل القداح — فوائز ، متساويات في غنى ويسار

وقال :

والعيش : أوفاه يمضي مثل أقصره ، سبع كسبعين ، او تسع كتسعينا

وقال في « رسالة الغفران » يداعب صاحبه « ابن القارح » :

« ودنانيره — باذن الله — مقدسات ، وإن كانت زائدة على الثمانين ، فقد أوفت على عدة أصحاب « موسى » الذين جاء فيهم :

« واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » . وعلى عدة الاستغفار في قوله : إن تستغفر لهم سبعين مرة ، فلن يغفر الله لهم ، وعلى عدة أذرع السلسلة في قوله تعالى :

« في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه الخ » .

وقد ألفنا من شاعرنا إبداعه في التلاعب بالأرقام والاعداد ، كما ألفنا منه البراعة في المقابلات بين الحروف والألفاظ ، وابتكاره روائع الأخيلة ومفاتن الصور الى حد كاد يفرده من بين كتاب الدنيا وشعرائها . ومن أبرع ما يختار له — في هذا الباب — تلك الصورة التي مثل بها كيف أسعد الحظ غيره من الناس ، فارتفعوا في معارج الرقي الى حد لا يتصوره العقل ، وضوعفت سعاداتهم كما تضاعف أعداد المئين اذا ضرب بعضها في بعض ، على حين أسلمه جده العاثر إلى التأخر يوماً بعد يوم ، فأصبح في غده أقل من يومه ، وفي يومه أقل أمسه ، وظل يتضاءل يوماً بعد يوم كما تتضاءل قيمة الكسر اذا ضرب في كسر آخر ، وإليك النص العلائي الفاتن :

سما نفر : ضرب المئين ، ولم أزل — بحمدك — مثل الكسر يضرب في الكسر

وإليك صورة أخرى من هذا المعنى المبتكر الرائع :

وتداني الأيام يحدث نقصاً وازدياداً ، والجسم للنفس تبع
خمسة في نظيرها : خمس خمسا ت تنمّت ، والنصف في النصف ربع

فهرست رسالة الهناء

صفحة

الفصل الاول

شرح الرسالة

وزير شبل الدولة ٣
عصر الشياطين ٥
المشيران ٦
كنوز مفقودة ٧
حذف الأسماء ٨
الصدق والكذب ٩
أسد الدولة ١١
الكذب الفني ١٢
المثل العليا ١٧
أسماء الممدوحين ١٩
إسرافه في المجاملة ١٩
لطف الاعتذار ٢٠
عنايته بالتوضيح ٢١

صفحة

أمثلة من شروحه ٢٣

الفصل الثاني

شروح علائية ٣١

الفصل الثالث

ترجمة الرسالة ٤٣

الفصل الرابع

النص الكامل

فاتحة الرسالة ٧١
تهنئات الأكفاء ٧٣
(صاعد بن مخلد) ٧٤
(سهل بن هارون) ٧٥
فريسة الأسد ٧٦
تهنئة الفأر ٧٧
مصرع الفأر ٧٨

	صفحة
تهنئة العصفور	٨٠
حملة العصيّ	٨٢
الأصفران	٨٦
روقا « فزارة »	٨٦
الحران والعبدان	٨٧
الكوكبان	٩٢
الربيعان	٩٢
الفارسان	٩٣
امرؤ القيس	٩٤
حديث الحيتان	٩٧
عرش بلقيس	١٠٠
دعوة الجبال	١٠٤
دعوة الدرب	١٠٦
أسد النجوم	١٠٨
(العالم العالي)	١٠٨
(جهل النجوم)	١١٠
(إهانة الشمس)	١١١
(حبال الشمس)	١١٢
(مصارع الكواكب)	١١٢
(إذلال النجوم)	١١٣
(مراجع النصوص العلائية)	١١٨
(فضل الخرس)	١٢٢
الجار الأخرس	١٢٢
(فضل الصمت)	١٢٣
(مراجع النصوص العلائية)	١٢٣
(الكذب، كما يراه أبو العلاء)	١٢٤
(مراجع النصوص)	١٢٤
(قصة الحروف)	١٢٥
(الساكن المشدد)	١٢٦
(الساكنان)	١٢٦
(قصة الحروف والألفاظ)	١٢٧
(بين الحركة والسكون)	١٢٧
(قبيلة السكون)	١٢٨
(حوار ميمين)	١٢٨
(تأملات في الحروف)	١٢٨
(معتل العين)	١٢٩
(بين اللين والهمز)	١٢٩
(حرف الجحد)	١٣٠

	صحفة
(تنافر الحروف)	١٣٠
(بيوت الحروف)	١٣٠
(مضمر نِعْمَ)	١٣١
(فضول الحروف)	١٣١
(حرف النفي)	١٣٢
(حرف الضمير)	١٣٢
براعة الايجاز	١٣٣
(الحرية والقيد)	١٣٤
(التشابه والاتفاق)	١٣٤

	صفحة
(قوة الأقدار)	١٣٥
(نطق الحروف)	١٣٥
(كلام القوافي)	١٣٥
(شهادة الهمزة	١٣٦
(الحرف الحي)	١٣٧
(في العالم الآخر)	١٣٧
(أدلة النحاة)	١٣٨
(هدير الجمل)	١٣٩
(قصة الأرقام)	١٤٠

ABU'L 'ALĀ' AL-MA'ARRI

RISĀLAT AL-HANĀ'

Dar Al-Afaq Al-Jadidah

Beirut - Lebanon